15em Année No. 726

Lundi — 2 — 6 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ رجب سنة ١٣٦٦ — ٢ يونية سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

من مذكراتى اليوميـــة

حلوان فى يوم الأحد ٢ مارس سنة ١٩٤٧ :

ذهبت صباح اليوم إلى نبع حلوان الجديد فإذا عليه أمة من الناس يستقون ويشتفون ، بعضهم من مخلَّفى الجيش ، وبعضهم من مرفَّهى العيش ، وكلهم من الممعودين أو المكبودين أو المرورين[1] فلا تعرف فى وجوههم نضرة الشباب ، ولا على جسومهم بضاضة العافية .

انبجس هذا النبع منذ سنوات فى هذه البقعة التى انطمس فيها معنى الوجود ، فلا حياة ولا موتٌ ، ولا سكون ولا حركة ، ولا أمسٌ ولا غد ، فأصبحت بعد نبوغ هذا النبع وما جر إليها من النفع ، مهوى الشعراء ومَراد الأصحاء ومَلاذ المرضى!

كذلك بنو آدم والدنيا ! جنادب[2] فى أجادب ! فلولا الينبوع الذى ولد الواحة ، والنهر الذى خلق المملكة ، والنبى الذى منح الجنادب أجنحة الملائكة ، والحاكم الذى وهب الأجادب خصب الفراديس ، لما أخلد بعض إلى بعض ، ولما امتازت أرض من أرض!

الأرض لولا الرياض واحدة والناس لولا الفَعال أمثال[3]

تقطع الناس فرقاً حول الينبوع يتساقون أقداحه الفاترات العِذاب . وقد لاحظت أن الذى قسم هذا الجمع إلى هذه الفرق إنما هو الدين لا الجنس ولا الوطن ولا اللغة ؛ فاليهودى مع اليهودى ، والمسيحى مع المسيحى ، والمسلم مع المسلم . ينظرون إلى الماء بعين واحدة ، وينظرون إلى السماء بعيون متعددة ! فأين هذا من اجتماع الحجيج حول زمزم ؟ إنهم هناك يجتمعون على ينبوع من الإيمان القوى المتحد يجرى فى أفواههم دعاء وأملا ، ويسرى فى دمائهم شفاء وقوة .

ذلك ما أكد لى للمرة السبعين أن الدين أقوى العوامل الروحية والاجتماعية أثراً فى توثيق العلائق بين معتقديه ، وتوهينها بينهم وبين منكريه . فإذا شاء ربك أن يجعل الناس أمة واحدة أرسل إليهم ذلك الرجل المنتظر فيجمعهم بالرضا أو بالكره على الدين الذى يكفل التعاون بالمؤاخاة ، ويضمن العدالة بالمساواة ، ويحفظ الكرامة بالحرية ، ويرفع الإنسانية بالإيثار . فإذا ما تم له ذلك عمد إلى سماسرة الدين وتجار السياسة وعباد الطمع فأقام لهم المشانق فى الساحات العامة من المدن المقدسة . يومئذ تنكسر حدة العصبية ، وتنقمع شهوة المنافسة ، وتنقطع أسباب الحرب ، ويغنى الناس عن هذه المؤتمرات والمجتمعات التى يقيمها ذؤبان البشر للحرية والديمقراطية وهى فى الواقع أسواق دولية للرقيق تباع فيها الأمم الصغيرة بالمساومة أو بالمزايدة ! !

الينبوع وميدانه الرحب ، وفندقه الفخم ، وحديقته المنمنمة ، ومشربه الريان ، ومسبحه العريان ، تمج بالناس ولكنى وحيد . والسماء الصحو ، والنسيم الفاتر ، وسفح المقطم الحادر الضحيان ، وشاطىء النيل الأشجر الفينان ، تغرى كلها بالنشاط ولكنى مريض . وليس للوحيد المريض إلا أن يعود إلى مثواه عسى أن يجد فيه لساناً حلواً فى فم جميل يؤانسه ، أو قلباً طيباً فى صدر نبيل يواسيه !

احمد حسن الزيات

(١) المرور : من هاج به خلط المرارة .
(٢) الجنادب : صغار الجراد (٣) الفعال بالفتح : الكرم والخير .

قضى الأمر ...

للأستاذ محمود محمد شاكر

قضى الأمر ، وانتهت الحكومة القائمة عن ترددها ، وألفت الوفد الذى سيذهب إلى مجلس الأمن ليعرض موضوع الخلاف الذى بيننا وبين بريطانيا . وعن قليل سيسمع العالم كله لقضية مصر والسودان ، وبصغى إلى حجتنا التى ستلقى إليه ، وإلى حجج بريطانيا فى دفاعها عن الذى تدعيه . ولو كان الأمر أمر عدل وإنصاف وبعد عن التحيز وأنفة من الظلم ، لما بالينا أن ندعو حكومتنا أوشعبنا إلى خطة سوى عرض القضية كما هى ، بلاحاجة إلى تتبع سوءات بريطانيا وعورات أفعالها . ولكن لا عدل ولا إنصاف ، بل هو التحيز والظلم . هذا ما ينبغى أن نتوقعه بعد الذى كان من موقف الأمم الغربية والأمة الروسية من أعظم قضايا الشرق وأوضحها برهاناً وأبينها حجة ، أعنى قضية فلسطين .

ولسنا نقول هذا تثبيطاً لوفدنا أو لشعبنا ؛ كلا فإن القضية المصرية السودانية قضية للجهاد لا للسياسة . فلنفرض أن الأمم ظلمتنا وتحيزت لبريطانيا فجارت علينا وضلت معها فلن يضيرنا ذلك ، بل هو الداعى الأعظم إلى الاستماتة فى الجهاد إلى أن ننال حقنا غير منقوص ولا مهتضم . ولكن هذا الأمر المخوف أو التوقع يوجب علينا أشياء لا مناص لنا من المحافظة عليها والحرص على أدائها .

فقد كان من سياسة بريطانيا قديماً أن تمزق وحدة هذا الشعب وتوقع بين أبنائه العداوة والبغضاء وقد فعلت ، فصارت أحزابنا أحزاباً تسيّرها شهوات رجال يتطلعون إلى مناصب الحكم كما يتطلع الظمآن إلى الماء أو سراب الماء . وكان من سياستها أن تلاين وتساير حتى يصبح السودان شيئاً قائماً بذاته أو كالقائم بذاته ، ففعلت . وكان من سياستها أن تغرى شهوات قوم من أهل السودان بالحكم أو السلطان ، ففعلت ، وانقسمت فئة من أبنائه مضللين بوعود كاذبة لن تتحقق ، وخرجت عن بقية الشعب مؤزرة بالمال ففجرت وصمدت ، وبريطانيا من ورائهم تنفخ فى نيرانهم حتى يأتى اليوم الذى يجعلونهم فيه حرباً على بلادهم وهم يظنون أنهم يعملون لخيرها وفلاحها . تم ذلك كله لبريطانيا ، ولكننا مع ذلك لا نبالى به قليلا ولا كثيراً ، لأننا نعلم أن هذا الشعب المصرى السودانى شعب كريم ذكى الفؤاد ، تجتمع قلوبه عند المحنة يداً واحدة على عدوه الباغى إليه الغوائل .

بيد أننا الآن فى ساعة غير التى كانت بالأمس ، فالقضية المصرية السودانية سترفع عن قليل إلى مجلس الأمن ، أى مجموعة من الدول لبريطانيا عليها فضل ، أو لها عليها تأثير . والزمن الذى ستعرض فيه لن يطول كما كانت تطول سياسة بريطانيا . وإذن فقد أصبح واجبنا نحن أن نتآزر ونتداعى ولا ندع هذه الفرصة تفلت منا ونحن عنها غافلون .

ليكن الوفد الذاهب إلى مجلس الأمن وفداً لم تجتمع له الصفات التى تنبغى أن تجتمع لوفد مصر ، وليكن رئيس الحكومة الذى سيرأس الوفد رجلا غير الذى كانت ترجوه بعض الأحزاب ، وليكن أعضاء الوفد رجالا غير الذين كنا نتوقع أن يكونوا — ليكن كل ذلك ، ولكن أليسوا مصريين سودانيين يجاهدون ما استطاعوا فى سبيل حق مصر والسودان فى الحياة الحرة التى تنبغى أن تكفل لكل حى ولكل أمة ؟ أليسوا رجالا منا قد انبروا للمحاماة عنا فى مجلس يخشى أن يكون أقرب إلى عداوتنا منه إلى صداقتنا ؟ أليس مطلبهم هو مطلب مخالفيهم من سائر الأحزاب فيما يخص قضية مصر والسودان ؟ بلى ، وما أظن أحداً من مخالفيهم يستطيع أن يقول خلاف هذا أو يدعى نقيضه .

وهذا المجلس الذى هو أقرب إلى العداوة منه إلى الصداقة ، لن يفرق بين مصرى نختلف عليه أو مصرى نتفق عليه . وبريطانيا لن تكون أقل عنفاً ولجاجة إذا كان الذى يرتفع بالقضية إلى مجلس الأمن إنساناً اتفق المصريون والسودانيون عليه ، لأنها تريد بكل ما تبذله أن تأكل حق هذا الوادى وتحيف على مستقبله ، لا تبالى بما يسمى أقلية أو بما يسمى أكثرية . وإذن فالعقل قاض علينا بأن نلقاها ونلقى مجلس الأمن يداً واحدة وعلى قلب رجل واحد أياً كان هذا الرجل . ونحن نعلم أن هذه دعوة قد كثر الداعون إليها فباءوا بالخيبة مرة بعد مرة ، ولكن كان العذر عندئذ قائماً ، فإن الحكومة لم تكن قد ارتفعت إلى مجلس الأمن بعد ، وكان هناك مجال لشهوات الأحزاب أن ينال أحدها فضل التقدم للدفاع

عن حقوق مصر والسودان   أما الآن فقد قضى الأمر ، فمصر والسودان تطالب أحزابها بحقها عليها ، فإذا أحجم أحدها ، أو أحد رجالها ، عن الذى تقضيه عليه حقوق الوطن ، فذلك « خائن » خائن بالمعنى الصريح التام الشامل الذى تنطوى عليه هذه الـكلمة .

وكلـمة الخيانة كلة عظيمة نأنف أن يتصف بمعناها مصرى سودانى لأنها تصم صاحبها بأنذل ما يكون فى طبيعة البشر ، وهى جريمة لا تغتفر ، وجزاؤها جزاء لا يحد . ولا نظن أحداً أحب أن يعرض نفسه لها راضيـاً عامداً قط ، بل الظن أنه إنما يخطىء وجه الصواب فيقع فى أقبح العيب ويخوض فى أشنع العار . وقد جاءت الساعة التى توجب على كل مصرى سودانى أن يقف ساعة ساكناً هادئاً مفكراً متورعاً خشية أن يقع فى هذه الخطيئة أو يلم بهذا الإثم ، وأن يحرر نفسه لحظة من شهواتها الجامحة ، وينفض عن قلبه غبار أعوام من الأحقاد الحزبية والسخائم الوزارية ، ليتطهر لوطنه ولبلاده ، وليستهدى بهدى الوطن فى ساعة المحنة . إنها أعظم خطيئة يقارفها مصرى سودانى منذ اليـوم ، لأنها خذلان لوطنه فى ساعة يرى فيها الأعداء يتناهشونه من كل مكان ، ويريدونه بالشر من كل ناحية ، ويكيدون له أخبث الـكيد فى كل أرض .

ولن يضير أحداً أن يكون له رأى يخالف هؤلاء الرجال الذاهبين إلى مجلس الأمن فى شئون لا علاقة لها بمجلس الأمن ، فيدع عناد الرأى إلى مناصرة الحق — بل إلى مناصرة وادى النيل فى حقه الطبيعى الذى لا يعرف الرجال وآراءهم وسياساتهم ، بل يعرف حقه على أبنائه من أى رأى كانوا ، وفى أى زمن ولدوا ، وعلى أى دين نشأوا . أقول هذا وأنا غير يائس من أن تجتمع كلة هؤلاء المختلفين على هذا الحق البيّن الذى لا ينازع فيه عاقل .

وأنا أدعو « الـكتّاب » الذين أنتسب إليهم بهذا القلم ، أن يجتمعوا على رأى واحد ، ويقوموا مرة واحدة لدعوة الشعب إلى الطريق الحق ، وأن يبرئوا أقلامهم من الأحقاد الصغيرة التى أنشأتها بينها بريطانيا يوم مزقتنا أحزاباً ، ليملأوها بالحقد الأعظم على العدو الأعظم الذى لم يدع لنا عرضاً إلا هتكه ، ولا فضيلة إلا لوّثها ، ولا كرامة إلا تهجم عليها بالتحقير والتشنيع . وإنما أوجه دعوتى إلى الـكتاب ، لأنهم هم أصحاب الرأى الأول ، وهم بناة الأمم ، وهم حياة الشعب ، وهم القوة التى تؤازر الضعيف حتى ينال حقه ، وتلطم الجبار حتى يدع الحق لأهله . إن التبعة الملقاة على كواهل الـكتاب ، هى أعظم تبعة ألقيت على مصرى سودانى فى هـذه الساعة ، فهى أعظم من تبعة الوفد الذاهب إلى مجلس الأمن ، لأنه بدونها لا يستطيع أن يواجه هذه الأمم مواجهة الند للند ، ومواجهة صاحب الحق لظالمه ، ومواجهة المؤمن بقضيته للـكافر بهذه القضية . ولو فعل الـكتاب ما يوجبه عليهم حق مصر ، فلن يستطيع مخالف أيًّا كان أن يفتّ فى عضُد الذاهبين بقضيتنا إلى مجلس الأمن ، وليس اليوم يوم لهو ولا لعب ولا شهوات ، بل هو يوم الجد والصبر والزهد . وظنى بالـكتاب أنهم أسرع الناس إلى معرفة مفصل الصواب فى كل أمر ، فلن يخطئوا أن يعرفوا ذلك وترى مصر والسودان يهمس لهم داعياً مؤلباً حافزاً على العمل لتحرير بلادهم من نير العبودية .

وأنا مؤمن بأننا سننال حقـوقنا كلها كاملة ، شاء مجلس الأمن أم أبى ، وبأننا صائرون إلى ساعة تجتمع فيها القـلوب المصرية السودانية على كلة واحدة ، شاء رؤساء أحزابنا أم أبوا ، وبأن المستقبل قد بانت لنا معالمه ، فإن عميت عنه عيون قد تقادم عليها الزمن تخبا ضوؤها ، ففى الوادى عيون ناظرة مبصرة لم تطمس نورها حزازات الماضى ولا شهوات الحـكم ، وأنهم هم الذين سيحكمون على الرجال حكما لن يرد . إنهم مصر والسودان أيها الساسة ، فاحذروا مصر والسودان وأحكامها عليكم ، فمن وضعته فهو الموضوع إلى يوم الفصل ، ومن رفعته فهو المرفوع إلى آخر الدهر !

محمود محمد شاكر

من أحاديث الإذاعة(*)

بين الزوجين

للأستاذ علي الطنطاوي

يا سادتي ويا سيداتي. قعدت لأكتب هذا الحديث، فما بدأت به حتى هبت العاصفة في بيت الجيران، وعلت الأصوات، وزمجر الرجل وصخب، وولولت المرأة وعيّطت[1]، وقام الشيطان يهيج للشر ويضحك، ثم هدأت العاصفة فجأة كما هبت فجأة، وأعقبها سكون ثقيل، سمعت له دوياً في أذني شغلني عن الكتابة، فقمت أنظر ما ذا جرى. فإذا الزوج قاعد في ركن المنزل ينظر في جريدته عابساً، ولا أظنه يفقه منها حرفاً، والمرأة في الركن الآخر تطرز ولا أحسبها تلقي لتطريزها بالا، هو يندب حظه يحسب أنه وحده الخائب في زواجه، وهي تبكي جدّها تحسب أنها وحدها التي فقدت سعادتها، ورأيت الولد قد ملّ هذا السكون ... فمشى إلى أبيه خائفاً يترقب، فقال له:

— بابا. اعطني شكولاته

— فصرخ به زاجراً: قل لأمك. أتريد أن أخدمكم في السوق وفي البيت، وأن أعمل عمل الرجل والمرأة؟!

فابتعد عنه الولد، ونظر إلى أمه، فصاحت به من غير أن ترفع رأسها عن شغلها:

— ابتعد عني وإلا كسرت رأسك، أنت أصل السبب، يا ضيعة تعبي، أشقى من الصباح إلى المساء فلا أجد من يقول لي: الله يعطيك العافية!

فهمّ الرجل بالانفجار، ثم تماسك وتجلد، وسكت على غيظ ومضض، ومشى الولد إلى الأريكة فتكوّم عليها، ودس وجهه في وسادتها، وراح يبكي بكاء خافتاً متصلا موجعاً!

وعاد البيت ساكناً كما كان، ومرت دقائق، لمحت فيها على وجه المرأة ظلال نزاع عنيف في نفسها، بين شفقتها على ولدها، وغيظها من زوجها، ثم رأيتها تثب فجاءة، فتمضي إلى غرفتها فتنبطح على سريرها وتنشج ... ويرفع الرجل رأسه، متعجباً منها، ويضيق صبره عن هذه المسرحيات (تمثل) في بيته، وهو يريده بيتاً فيه الهدوء والمحبة ولا يفهم سر بكائها وهي — عنده — الظالمة، فيمضي إليها بعد تردد، حتى يقوم أمام السرير منتصباً مربد الوجه، كأنه القائد العسكري في جنده، أو النائب العام في مقعده، ويقول لها بصوت بارد كالثلج متماسك كالجلمد:

— وما آخرة هذه المساخر؟

وكانت تظنه قد جاء يواسيها في كربتها، ويعطف عليها، ويحاول أن يفهم ألمها، ويزيح همها، فلما سمعت ذلك منه، فقدت عقلها، فصاحت:

— مساخر؟ أنتم الرجال ليس عندكم وفاء، ليس لكم قلوب، إنكم ...

فنسي أنه أمام امرأة، وأنه أمام زوجة، وحسب أن الذي يقول له هذا الكلام قرن له أو خصم، فأجابها جواب الأقران، وكلمها كلام الخصوم، ولم يبق بينها وبين الطلاق إلا شعرة واحدة.

فقلت لهما: بسّ، انتظروا، قولوا، ما هي الحكاية؟

فنظرا إليّ، وحسباني (وأنا قريبهما) عفريتاً قد نبع من الأرض ففزعا منه، ثم اطمأنا إليّ وعرفاني، وانطلقا يتكلمان بصوت واحد كلاماً متواصلا متداخلا، تتلاحق كلماته، كأنه السيل انهدم سدّه فاندفع، أو لسان النار غفلت عنه فاندلع، وما فهمت الحكاية حتى كادت نفسي تزهق ...

و (الحكاية) التي سببت هذه النكبة، وكادت تهدّ بيت الزوجية، وتطلق الزوجة وتشرد الولد، أنه جاء من عمله فوجد الصبي على الباب، والباب مفتوحاً، وليس عنده أحد يمنعه أن يمشي فيضل في الحارة، أو تدعسه[1] سيارة، أو تلفحه الشمس، أو يصيبه المرض، وتخيل ألف مصيبة قد حاقت بالصبي ونزلت به فاستحال حبه له حنقاً على أمه التي أهملته، وتركته على شفا

(*) سجل في مصر وأذيع من محطة الشرق الأدنى يومي (٢٨) و(٢٩) مايو

(١) (عيط) في الشام صاح وفي العربية كذلك (تقريباً) وفي مصر بكى.

(١) دعسته السيارة: وطئته؛ أما قولهم دهسته فهو من الغلط.

الهلاك ، ودخل مغضباً محنقاً ، وبدأها باللوم قبل السلام ، وكانت قد نظفت الدار وأعدت الطعام ، و(لبست ...) تنتظر وصوله ، لتسعد بقربه ، وتجد مكافأتها فى شكره إياها ومسرته منها ، فلما رأته مخاصماً تبدد أملها ، وخاب ظنها ، وسيطر عليها الغضب ، حتى أعماها عن حادثة (الباب المفتوح) والخطر المرتقب ، فلم تر فيها إلا حادثة تافهة ، لم ينشأ عنها شيء ولم يأت منها ضرر .

وبدأ من هنا الخلاف ، وتطاير الشرر .

ياسادتى وياسيداتى : هذه صورة ترون كل يوم أمثالها ، فاسمحوا لى أن أجعل حديثى هذه العشية تعليقاً عليها ، وبياناً لها ، وليست صورة غريبة عنكم ولا نادرة ، بل الغريب النادر أن تخلو دار منها ؛ وأنا قاض شرعى عملى أن أرى دائماً دخائل البيوت ، وأن أطلع على أسرار الأسر ، فصدقونى إذا قلت لكم ، إنى لا أعرف زوجين لا يختلفان ، ولكن خلاف الأزواج كحريق فى كومة من القش ملقاة فى رحبة الدار ، إذا أطفأته أو تركته ينطفئ بعد لحظة ، وحمل الريح رماده ، فلم يرزأك رزءاً ، ولم يصبك بأذى ، وإن هجته أو أدنيت منه ثوبك ، أو قربته من بيتك ، احرق الثوب وخرب البيت ، ولقد كان بينى وبين زوجتى اليوم خلاف كهذا ، فقلت لها :

— تعالى أعينينى على كتابة مقالة ؟

وكانت هذه المقالات ضرتها ، فحسبتنى أسخر منها ، واندفعت تريد أن (تقول) ... فما زلت بها أكلمها بجد ، حتى بدا عليها الاهتمام وقالت :

— وكيف أعينك ؟

قلت : تقولين لى كيف يختلف الأزواج ؟

ومضينا نستعرض حوادث الاختلاف بيننا ونحلل أسبابها فانتهينا إلى الضحك منها

يا سادة ويا سيدات : إنه قد يكون بين الزوجين اختلاف مفهوم على مال أو عقار ، ولكنه نادر وأكثر الخلاف تافه مضحك ، ليس له إلا عندها قيمة أو خطر ، وأنا أفهم أن تهتم المرأة بهذا ، ما دامت تريد أن تشغل عقلها كما تشغل يدها ، وما دامت لا تجد مشكلة علمية أو أدبية تبحث فيها وليس لها إلا مشاكل البيت — ولكن ما بال الرجل يهتم بها ويبالغ فى تقديرها ؟

تقولون : كيف نصنع ليسود البيت السلام ويشمله الهدوء ؟

أنا أقول لكم ؛ مقالة مجرب حكيم ، فاستفيدوا إن شئتم من حكمتى وتجربتى

هذه (أقراص) سهلة البلع ، عظيمة النفع ، فيها شفاؤكم من هذا الداء :

أولها : أن الزواج يبدأ بالحب والعاطفة ، والحب أوله حلاوة وآخره مرارة ، فهو يعمى البصر ، ويصم الأذن ، ويغطى العيوب ، فإذا زال الغطاء ، ولا بد يوماً أن يزول الغطاء ، وبدا المحجوب من العيوب ، وظهر المستور من الأمور ، وافتقد الزوجان لذة الحب فلم يجداها ، انتهى شهر العسل ، وبدأت سنوات العلقم ، فتجرعا العمر كله مرها ، وقاسيا ضرها . والدواء ألا يرقب الزوجان المحبة والعشق ، فالحب عمره كعمر الورد ، لا يعيش إلا أمداً قصيراً ، ومن طلبه بعد عشر سنين من الزواج كان كمن يطلب من وسط القبر من العظام والرمم الغادة الحسناء والفاتنة الهيفاء . لا ، ولكن مودة وإخلاص وحب كحب الأصدقاء والإخوان .

وثانيها : أن الرجل يغتفر لصديقه ما لا يغتفر لزوجته ، ويحمل منه ما لا يحمل منها ، ويتسامح معه فيما لا يتسامح فيه معها ، وما ذلك إلا لأنه يصدق هذه الخرافة التى تقول إن الرجل والمرأة كلاهما مخلوق واحد ، فهو يريد منها أن تفكر برأسه ، وهى تريد منه أن يحس بقلبها ، مع أن الناس كخطوط مستطيلة وفيها اعوجاج يسير ، فإذا كانت متباعدة بدت للعين متوازية متوافقة ، تضيع من البعد هذه الفوارق الصغيرة بينها ، فإذا تدانت وتقاربت ، بانت الفجوات ، فأنت تصحب الصديق عشرين سنة ، فلا ترى بينك وبينه اختلافاً ، ثم ترافقه أسبوعاً فى سفر ، تنام معه وتأكل وتشرب فترى فى هذا الأسبوع ما لم تره فى السنين العشرين ، فتشنؤه وتبغضه وقد كنت تحبه وتؤثره .

والله لم يخلق اثنين بطباع واحدة ، لا الصديقين ولا الزوجين ، فليكن الزوجان متباعدين قليلا ، حتى لا يظهر الاختلاف بينهما ، وليكن بينهما شيء من الكلفة والرسميات ... كما يكون في عهد الخطبة وأوائل الزواج ، ولتكتم عنه بعض ما في نفسها ، وليكتم عنها بعض ما في نفسه ، فإنه ما تكاشف اثنان إلا اختلفا . وما زالت الكلفة إلا زالت معها الألفة ، لأن المرء يتظرف ليظرف ، ويتلطف ليلطف ، ويساير الناس ليحبه الناس ، فإن لم يفعل ثقل عليهم ، وأنا أعرف رجالا من أهل النكتة والظرف ، يحرص الناس عليهم في مجالسهم لخفة أرواحهم ، وحلاوة أحاديثهم ، إذا دخلوا بيوتهم كانوا أجهم الناس وجهاً ، وأيبسهم لساناً ، وأثقلهم نفساً ، وما ذاك إلا لإسقاط الكلفة ، وإذهاب المجاملة .

وثالثها : أن الرجل يمشي في الطريق فلا يرى إلا نساء في أحسن حالاتهن ، قد طلين وجوههن ، وجمّلن ثيابهن ، ثم يدخل داره ، فيرى زوجه على شر هيئة ، وأقبح صورة : مصفرة الوجه ، قذرة الثوب ، منغمسة في أوضار المطبخ ، أو غارقة في غبار الكنس ، فيظن أن نساء الطريق من طينة غير طينتها ، وأن عندهن ما ليس عندها ، فيميل إليهن وينصرف عنها ، والدواء أن تكون المرأة عاقلة ، فلا تجعله يراها إلا في الهيئة التي تخرج فيها من بيتها ، وتستقبل عليها ضيفها ، ولا تدعه يبصرها نائمة ولا يراها بغير زينة ، ولا يطلع عليها في مباذلها وأعمالها .

ورابعها : أنه لا بد لكل شركة أو جماعة من رئيس ، فإن كان في المركب رئيسان غرق المركب ، ولو كان في السماء والأرض إلهان فسدت السماء والأرض ، فلا بد من ترئيس أحد الزوجين والرجوع عند الاختلاف إلى رأيه ، واعتراف الثاني برياسته ، وعلى الرئيس بعد أن يكون حاكما بعدل ورفق ، وعلى المرؤوس أن يكون طيّعاً بفهم واحترام .

وخامسها : لا بد لدوام المودة من اغتنام الفرصة لإظهار العاطفة المكنونة بحديث حلو ، أو مفاجأة منه : هدية ولو صغرت ، وطرفة ولو قلّت ، واهتمام منها بصحته وراحة نفسه ومطعمه وملبسه وكتبه ، وأن يصبر كل منهما على غضب الآخر وتعتبه

يا سادة : إن مشاكل البيت هينة سخيفة ، ولكنها إن استفحلت نغّصت العيش وسودت وجه الدنيا ، ولم ينفع معها ملك ولا مال ، فلقد كان الامبراطور نابليون الثالث يجد من مكارهها ما لم ينجه منه ملكه . وكان الرئيس لنكولن يلقى من متاعبها ما لم يخلصه منه سلطانه ، وإني لأستأذن السيدات المستمعات بأن أختم هذا الحديث بكلمة لامرأة مثلهن هي (آن شرر) . قالت :

« إن بين كل عشر نساء تسعاً يحرصن على مضايقة الرجل ، وتنكيد عيشه ، ولهن إلى ذلك وسائل لا تحصى ، وهن يعتقدن أنه لا عمل للرجل إلا الثناء على جمالهن يومه كله ، وامتثال أوامرهن ، وإجابة رغباتهن ، وإذا رأينه مقبلا على قراءة أو كتابة أو عمل له ، اقتحمن عليه مكتبه ، ونغضن في وجهه من المنغصات ما يحيل عزلته سجناً ، وحياته جحيما »

فيا سيداتي المستمعات : أرجو أن لا تكون فيكم واحدة من هؤلاء !

(القاهرة) علي الطنطاوي

القسم الثاني

فرنســــا ومستعمراتها

بقـــلم أحمد رمزي

فرنسا والحرب العالمية الثانية : بين الديموقراطية والفاشية

كانت فرنسا فى وسط برامجها لتنفيذ هذه الطفرة الصناعية لكى تعوض ما فات منها حينما قامت الحرب العالمية الثانية ، جاءت هذه الحرب وهى منقسمة فى الداخل ، فالروح الرجعية التى تفشت فى عدة بلاد بأوروبا وأفريقيا وآسيا وأخذت فى فرنسا مظهر العنف فى مظاهرات الكونكورد سنة ١٩٣٣ ، وهذه الروح لم تكن قد ماتت فى سنة ١٩٣٩ بل كانت تمثل مصالح وأغراض تلك الفئة التى أشرنا إليها من أساطين الصناعة الذين أخذوا على عاتقهم تنفيذ هذه البرامج . وكانت هذه الفئة تؤمن بضرورة مسالمة برلين وروما(١) ، لا حباً فيهما أو رضوخاً لإرادتيهما بل لأن الوطنية تملى بأنه يجب تحمل كل شىء فى سبيل السلم حتى تستكمل فرنسا بناءها الصناعى ولو كان فى ذلك الخروج من ميثاق عصبة الأمم أو إهمال المحالفات والضمانات القائمة .

صداقة بريطانيا :

يقابل هذه الروح تيار الديموقراطية ممثلا فى روح الجماعات والأحزاب السياسية والبرلمان ، وكانت جميعاً لا ترغب فى الاندفاع على طريق غير مأمون العاقبة : يفقد فرنسا مركزها الأدبى كدولة عظمى إذا حنثت بالمواثيق والضمانات المأخوذة أو ضربت بالمحالفات والمعاهدات عرض الحائط ويفقدها صداقة حليفتها بريطانيا ، تلك الصداقة التى بنيت عليها سياسة فرنسا منذ الاتفاق الودى عام ١٩٠٤ وأكسبتها المواقف الاستعمارية فى مؤتمر الجزيرة ١٩٠٧ وأيام حادث القدير فى مراكش سنة ١٩١١ ، وكانت العامل الأساسى لكسب حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ .

أثر بريطانيا فى سياسة فرنسا :

وكانت هناك دواع تملى باستبقاء تلك الصداقة من الجانب البريطانى نفسه ، فقد ظهر جلياً بعد تقدم الطيران وموقف إيطاليا المعادى أن أراضى الأمبراطورية الفرنسية ستكون فى السلم والحرب الممر الطبيعى للطائرات البريطانية إذا تحاشت البحر الأبيض المتوسط : لم يكن من السهل إهمال علاقات هذا الجوار وما تمليه المصالح المشتركة للبلدين وما يفرضه تماشى حقوق الارتفاق بين الأمبراطوريتين ، ولهذا لم تترك السياسة البريطانية هذه الناحية تسير طبقاً للأقدار بل مالت بقواتها وعبأت أساليبها المختلفة وعضدت الاتجاه المضاد للحركة الأولى ، وكان أن حكمت فرنسا حكومات بقيت حريصة على محالفة بريطانيا ، وترتب على هذا أن دخلت فرنسا الحرب العالمية الثانية بجانب الأمبراطورية البريطانية .

ومن هنا نفهم حقيقة العرض الذى تقدم به تشرشل قبل تسليم يونيه ١٩٤٠ واقترح فيه إدماج الأمبراطوريتين فى اتحاد واحد وهو العرض الذى توهم فيه الكثيرون بأنه كان عرضاً خيالياً لا يستند إلى أساس .

الحرب العالمية الثانية ٣٩ — ١٩٤٥ والمستعمرات الفرنسية :

جاءت الحرب فمرت شهورها الأولى وتحملها الناس ، ثم اشتدت وطأتها على فرنسا وظهرت عيوب الأنظمة الفرنسية وتفكك الأحزاب الحاكمة وخيانة رجال الصناعة وقواد الجيش ، وتوالت الهزائم واضطرت فرنسا للتسليم عقب قتال لم يدم طويلا ، وكان أن طرأ حادث غريب فى تاريخ العالم جاء نتيجة لإبرام عقد الهدنة بين فرنسا وألمانيا عام ١٩٤٠ ، وهو أن يحتل العدو بلدا أوروبيا أو جزءاً منه بجيوشه وتبقى أراضى المستعمرات من غير احتلال ، وليس فى ذلك من عجب إذا كانت الهدنة لوقف القتال

(١) يقول أندريه فيليب إنها تعاونت مع المحورمدة الحرب وحصلت بذلك على أرباح طائلة

La droite industrielle a Collaboré avec L'ennemi et a realisé dans ses opérations de Coquets Bénéfices·

ثم تعقبها مفاوضات الصلح وينتهي الأمر بإبرامه عقب فترة قصيرة من الزمن كما حدث سنة ١٨٧٠ . أما أن تعقد الهدنة ويتضح من شروطها استثناء الأمبراطورية الفرنسية وبقاء جيوش الجمهورية معبأة للدفاع عنها ويستمر ذلك شهوراً ثم سنوات ما دامت الحرب قائمة ، فأمر جديد أثار الكثير من المشاكل كلما بعدت نهاية الحرب .

فهناك فريقان يتحاربان حرباً مميتة ، وهناك أمبراطورية لدولة قبلت التسليم ، فما هو حكم الأراضي التي سلمت أهي دار حرب وقتال أم هي على الحياد ؟ لا شك في أن القسم الفرنسي الذي يشغله العدو بجيوشه هو دار حرب .

فما هو موقف القسم غير المحتل وأهم جزء فيه تلك الأمبراطورية بأقاليمها المتسعة ؟

هدنة سنة ١٩٤٠ ومستعمرات فرنسا :

كنت في بيروت عند بداية الحرب وبعد عقد الهدنة ، ولقد شعرنا وشعر الناس جميعاً أن الحياد الذي أرادت فرنسا أن تظهر به غير موجود ولا يمكن التمسك به نظرياً أو عملياً فقد كانت الطائرات الإيطالية والألمانية تضرب فلسطين وكان بعضها يصاب بنيران المدفعية فيضطر للهبوط في أراضي سوريا ولبنان فاتخذت السلطات الفرنسية معها في الحوادث الأولى الاجراءات التي ينص عليها باب الحياد في القانون الدولي ، وكان للألمان لجنة عليا في فيسبادن تشرف على أمور الهدنة وتفسير شروطها . أبلغت هذه اللجنة الحكومة الفرنسية رسمياً أن شروط الهدنة مع ألمانيا لا تجعل من فرنسا ومستعمراتها بلداً محايداً ، وما يسري على المستعمرات يسري على الأراضي المشمولة بالانتداب : وبناء على ذلك أفرجت السلطات العسكرية الفرنسية عن الطائرات والطيارين وسمحت بالمرور والنزول في المطارات ، فكان من بريطانيا أن قذفتها بالقنابل ووجهت حملتها لاحتلال أراضي سوريا ولبنان .

حالة شاذة :

هذه الحالة الشاذة لأوضاع الأمبراطورية الفرنسية طول مدة الحرب أوجدت في أراضيها نوعاً من الحكم استفاد منه الفرنسيون للوقوف بين الفريقين المتحاربين ، ولو أنه أدى في النهاية إلى خسارة أسطولهم واحتلال الألمان والطليان لتونس : إلا أن هذه الحالة لفتت أنظار الفرنسيين جميعاً للامبراطورية وأثرها وأهميتها وما ينتظر منها وأنها قوة المستقبل ودرع الشعب الفرنسي وغير ذلك مما كانت تردده الصحف وتذيعه الأنباء المختلفة من محطات اللاسلكي .

انقسمت فرنسا إلى فريقين : حكومة فيشي وحركة الجنرال ديجول ، واتفق كلاهما على أمر واحد هو الاحتفاظ بوحدة الأمبراطورية وعدم التفريط في أي جزء منها ، وترجع الأخطاء وأعمال العنف التي ارتكبها ممثلو فرنسا في القطرين الشقيقين سوريا ولبنان إلى تمكن هذه الفكرة منهم تمكناً أعماهم عن تلمس الحقائق ومواجهة تطور العالم الجديد .

وأغرب من ذلك أن الحلفاء حينما وجهوا حملتهم إلى شمال أفريقيا قام الكتاب الفرنسيون بحملة قلمية في أنحاء العالم تقول : إن الأمبراطورية وشعوبها قد قامت بأسرها لشد أزر الجنرال ديجول ، وأنها سارت تحت لوائه لإنقاذ أراضي الوطن المحتلة ؛ واتخذوا هذه الدعاية دليلاً على نفوذ فرنسا وقدرتها الاستعمارية ، بل من هنا أخذوا ينادون بما صمموا عليه من إدخال سياسة الاتحاد الفرنسي وفرضها بقولهم إن المستعمرات قد حملت عبء القتال عن الوطن الأوروبي المحتل فهي إذن ساهمت في تحريره ومن حقها أن تندمج فيه وتكون وحدة معه وننقل هنا ما كتبه بول أميل فيار ، لأن مرة سلم الوطن الأم وبقيت فرنسا تحارب في مستعمراتها [1] :

Pour La première fois en effet La Métropole est Occupée et La France se bat dans ses Colonies Powl Emile Viourd

لماذا لم تحتل ألمانيا الأمبراطورية الفرنسية :

إن السياسية التي أملت على ألمانيا ترك الأمبراطورية الفرنسية

(١) راجع : Essai d' ure Organisaton Constétutionnelle de La Communité Francaise

تحت إشراف فرنسا بعد تسليمها لا تزال غامضة بل هي إحدى المعميات التي سيتساءل عنها مؤرخو الحرب طويلا . فقد تكون هناك عوامل عسكرية أو سياسية فرضت هذه السياسة ، ومن المحقق أن هناك مفاوضات وأشياء لا يزال العالم يجهلها تماماً .

فمن قائل إن التسليم قد تم على يد رجال يؤمنون بعظمة فرنسا إذا تخلصت من أنظمتها الدستورية واتجهت اتجاهاً فاشياً ، فمن الطبيعي تشجيع هذه الحركة وإعطاء هؤلاء الناس بعض التساهل بترك المستعمرات لهم ، ومن قائل إن الغرض الأساسي الذي رمى إليه هتلر هو أن يجعل الأمبراطورية الفرنسية يوماً ما في صفه أمام الأمبراطورية البريطانية في أفريقية . وذلك لأن :

لفرنسا سياسة أوروبية وللمستعمرات سياسة أمبراطورية :

يقول أصحاب هذا الرأي إنه إذا كان لفرنسا سياسة في القارة الأوروبية تعتمد على الأمن والضمان وهي تحتم التحالف مع بريطانيا وغيرها ، فإن للامبراطورية بحكم موقعها الجغرافي ونفوذها وحاجاتها الاقتصادية سياستها الخاصة بها .

ويظهر ذلك جلياً في أن الفرنسي في القارة الأوروبية يعالج المشاكل بروح تختلف عن روح الفرنسي المقيم بالمستعمرات الذي يفكر بالأسلوب الأفريقي الاستعماري وينظر إلى عظمة فرنسا في أمبراطوريتها نظرة بعيدة عن تطور السياسة الأوروبية وما تفرضه من محالفات وصداقات .

فإذا تركنا جانباً المستعمرات البعيدة مثل مدغشقر والهند الصينية ، تبدو الأمبراطورية الفرنسية لقول هؤلاء كوحدة جغرافية لها أهمية كبرى وهي في نظرهم كائن حي له ما لفرنسا من مشاكل متعلقة بالأمن والحماية والجيش والبحرية .

وقد تتفق السياستان وقد تختلفان في الشؤون الخارجية ، أما في الشئون الداخلية فقد ظهر أثر الرجال الفرنسيين المقيمين بالمستعمرات في محاربة كل إصلاح يرمى إلى إشراك الوطنيين في الحكم ، بل فرضوا إرادتهم وأجبروا الحكومة المركزية على تغيير سياستها مراراً ولذلك توهم المختصون بشؤون الاستعمار ألا مخرج لهم من هذا التعارض سوى سياسة الاتحاد التي تجعل من فرنسا والأمبراطورية كتلة واحدة في الخارج والداخل .

وكان من رأى الذين لمسوا هذا النزاع القائم أن المشاكل الإقليمية والحربية في سيرها وتطورها تواجه في النهاية مصالح الأمبراطورية البريطانية في أفريقيا وأكبر ضربة لهدم التحالف الفرنسي البريطاني تأتي من تشجيع فرنسا للأخذ بسياسة إمبراطوريتها في الأمور الخارجية وبنوا نظريتهم على :

المتناقضات القائمة بين إمبراطوريتين عالميتين :

فقالوا إن سياسة الوفاق والصداقة سهلة وتبدو ضرورية في أوروبا ولكنها صعبة وغير محتملة في أفريقية أو إذا سار التحالف بانسجام هنا فإنه لا يسير أشواطاً بعيدة في أفريقية من غير أن تبرز المتناقضات : وهي الأمور التي تتطور إلى مشاكل أو أزمات فيستعصى حلها لأن مردها إما إلى السياسات العليا أو إلى القواعد الثابتة اللازمة لطبائع الأشياء : وعلى هذا الضوء تبدو حوادث سوريا ولبنان سنة ١٩٤٣ ، ومشاكل بريطانيا في طرابلس الغرب وبرقة ، في الوقت الحاضر وتعذر إيجاد حل لها .

أمل ألمانيا في استغلال التنافس بين الدولتين :

كان الألمان على إلمام تام بالحالة النفسية والعسكرية في الجيش الفرنسي ، وبما يمكن أن تؤديه الفرق المكونة من الجنود الأفريقية ، وهم على علم بطاقة هذه الشعوب ومقدار صلاحيتها للحروب الحديثة ، ولكنهم أبقوا مع ذلك على وحدة الأمبراطورية الفرنسية وتركوها بيد الفرنسيين لأنهم توهموا أن التنافس بين البريطانيين والفرنسيين قد ينقلب إلى عداء ، وقد مرت حوادث كانت نتيجتها التصادم والقتال ولكن الأمبراطورية الفرنسية لم تتحرك بل إن القتال الذي نشب في سوريا ولبنان انحصر هناك .

أما من الناحية الفرنسية فقد تمكن الأمل من القواد والساسة لدرجة أنهم توهموا بأن لديهم القوة الكافية للدفاع عن الأمبراطورية إذا هوجمت وحشدوا وحداتهم البحرية في شمال

أفريقيا أملا فى الخروج إلى السلم بالسيادة على البحر وحدود المستعمرات كما كانت قبل الحرب : بل كانوا يجاهرون بأنه إذا لزم الأمر أن يقبلوا التضحية عند إقرار السلم مع ألمانيا فلتكن التضحية من الأراضى الأوروبية إذا ضمنوا المحافظة على وحدة أملاكهم الأفريقية التى هى المدى الحيوى التاريخى للشعب الفرنسى .

ومن الغريب أن هذا الأمل الألمانى وهذا المنطق الفرنسى ترك شمال أفريقيا فى حالة مهلت للحلفاء احتلالها واتخاذها برافئها لجمع قواتهم التى زحفت إلى قلب أوروبا ، فكان أن ساهمت الأمبراطورية الفرنسية فى تحرير أوروبا بل فى تحرير العالم ولكن كبقعة متسعة من الأرض استعملت كسرح للحوادث والمعارك ليس إلا …

الحلفاء يسيطرون على أملاك فرنسا ثم يعيدونها اليها :

تمزق السور الفولاذى لأول مرة عند دخول الحلفاء وقواتهم أراضى شمال أفريقيا ، فرأى أهل مراكش وتونس والجزائر جنوداً من عناصر أخرى غير فرنسية ، ولا بد أنهم لمسوا وعاينوا أشياء جديدة ، ولكن البلاد التى خضعت لسنوات عديدة لأعمال العنف والتشريد كانت تتمخض بانبعاث جديد ووثبة شاملة ، ولم تكن حملة الحلفاء لتخلق هذا الوعى القائم لولا أن لهذه الشعوب من الشخصية والتاريخ ما يجعلها تحس وتشعر بالرسالة التى تحملها للعالم . وجاءت حملة الحلفاء لهذه الأرض بأساطين العالم وكانت مقر مؤتمرات : وعرف الناس جميعاً أن أراضى تونس والجزائر ومراكش كانت وديعة فى يد الحلفاء، وقد أعيدت لفرنسا بعد أن تعهد رجالها لروزفلت أن تسير هذه البقاع فى ركب الحضارة نحو الحرية وتقرير المصير كغيرها من بقاع الدنيا التى يسكنها الإنسان لا الحيوان .

أعود إلى الوراء ؟ أم عصر جديد ؟ هذه كلمة الأستاذ إسماعيل مظهر حينما عرض إلى مشروع الاتحاد الفرنسى ونحن نتفق معه فى صيحته ونقول :

إن الخطر الذى يبدو لنا هو أن توفق فرنسا فى إقناع العالم أن الاتحاد الفرنسى هو مشروع إنسانى يدعو إلى رفع مستوى شعوب الأمبراطورية ، ويعد تنفيذه تحقيقاً لما وعدوا به روزفلت فى اجتماع الدار البيضاء ، أو مرحلة فى طريق الرقى الاجتماعى .

ولكن فكرة الاتحاد قديمة وسنعرض لها فى الجزء الأخير من هذا البحث ونبرهن أنها أخطر بكثير مما نتصور ، وأنها ضربة موجهة لاستقلال الشعوب وحريتها ومستقبلها ، وأنها أخطر طعنة يوجهها الاستعمار الأوربى فى أفريقيا موطن الشعوب المظلومة

أحمد رمزى

من وراء المنظار

مذيـــــاع . . . !

سوف لا تضحك يا قارئى من هذا الذى أكتب ، بل أنك ستتحمس أشد التحمس مع قوم انقلبوا جميعاً على الرغم مما كانوا فيه من ألم وعذاب وضعف من أكبر المتحمسين . وحسبك أن تعلم بادىء الأمر أنى أنا الذى طالما تفكهت بكل من يتحمس وضحكت ملء نفسى قد بت فى الحماسة أشد الناس أجمعين !

هذا شاب يضطجع على سرير ، بيده مجلة ينظر فيها وقد لمح منظارى على غلافها بعض الصور المغرقة فى المجون والفتنة ، وبجانبه مذياع لا يبعد عن أذنه إلا بقدر ما بين عينيه والمجلة ، والمذياع يرسل صوته كما لو كان فى مقهى من أشد المقاهى جلبة وصخباً ، وصاحبنا يقرأ ويسمع ويمتع بالجمال العارى ناظريه لا حرمه الله منهما ولا حرمه من ظرفه وأناقته وحسن ذوقه — كما يمتع بالموسيقى واللحن الصاخب أذنيه .

ولعلك تقول وما ذا فى ذلك من غرابة ؟ وما ذا فيه من بواعث التحمس حتى تستعدى عليه القراء على هذا النحو ؟ ألا فاعلم رعاك الله ووقاك السوء وجنبك وإيانا مواطن التحمس أن هذا الشاب الظريف كان يضطجع على سرير فى أحد المستشفيات، إى والله فى مستشفى يحيط به فى الحجرات المجاورة مرضى منهم من يتلوى على سريره من فرط ما به ، ومنهم من يطلب غفوة تنقذه من عذابه ، ومنهم من اشتد به الصداع حتى أذهله عما بقى من صوابه ، ومنهم من يتراءى له شبح الموت فى كل شىء ، ومنهم من يطلب الهدوء حتى ليتضجر من وقع أقدام ممرضته أو من مجرد فتحها باب غرفته وإنها لتتنقل كما يتنقل الخيال فى الحلم !

والمذياع يجلجل صوته بكل ما هب ودب ، وقد أحضره هذا المريض الظريف ، شفاه الله ، من بيته ، وكانت حجرته لسوء حظ هؤلاء المساكين من حوله فى مفرق الطرق من ممرات المستشفى ، وكان بابها مفتوحاً إلى آخر ما ينفتح ، كما كان صوت مذياعه بالغاً فى الارتفاع آخر ما يمكن أن يرتفع .

وضج المرضى أوضج من يستطيع منهم أن يحتج ، أما الذين برحت بهم الأوصاب فكانوا يتململون من هذا الطرب المفاجىء الذى نزل بهم فإذا هو يضاف إلى ما يلاقون من ألوان العذاب !

وغمزت أيديهم الأجراس ، وهى من نوع عالى الصوت ، فأضيفت نغماتها إلى نغمات المذياع ، واختلط بهذا كله استنكار الزائرين واستغاثة بعض من استطاعوا المشى من المرضى ، فهذا يصفق بيديه ، وذاك يتسخط ويتكره ويستعيذ بالله ، وذلك ينادى المسؤولين ؛ وتألفت من أولئك جميعاً ضجة لن يكون فيما يصور الخيال أشد منها نكراً ولا أبغض نشوزاً .

كل ذلك وصاحبنا لا يكترث لشىء ، كأنه وحده فى البحر أو فى الصحراء . وطرقت الباب أستأذن عليه ، ودخلت الحجرة فنظر إلى مستفهماً بهزات من رأسه المضطجع على الوسادة ، فوقع فى نفسى أنه ثقيل السمع فهو لذلك يعلى صوت المذياع ، ودنوت منه ورفعت بالكلام صوتى فخبس صوت المذياع واستمع إلى ، فرجوت منه وأنا أدعو له بالشفاء أن يغض من صوت مذياعه رحمة بالمرضى وبخاصة مريض كنت أعوده وقد اشتد به الألم ولا يفصل بينه وبينه إلا جدار الحجرة الرقيق .

ونظر إلى مستنكراً — كما فهمت — تطفلى وتهجمى على حجرته واعتدائى على حريته ، ولم يزد على أن أدار مفتاح مذياعه فأعاده أشد مما كان إن كان فيه فضل لزيادة !

ونظر فى صحيفته كأن لم يكن أمامه أحد ! وللقارىء أن يتخيل نفسه فى موضعى ، ثم لينظر مبلغ ما فى نفسه من تحمس حتى لمجرد هذا الخيال ! لقد فكرت أن أنتزع المذياع من مكانه فألقى به فى الحديقة ، ولو أنى فعلت ذلك ما فثأ ما كان فى نفسى من غضب . على أن مدير المستشفى قد جاء بعد ساعة فأمر بانتزاع هذا المذياع وحرم دخوله إلى حيث كان ... وكفى الله المؤمنين القتال ... نحن لعمرك ولعمرى أيها القارىء قوم كثيرو العيوب الاجتماعية ، ولتتحمس ما شئت إن أنكرت منى هذا القول ، وأكثر هذه العيوب ذيوعاً وأرذلها فيما أرى وقعاً عدم مبالاتنا أو ما أسميه على التحديد عدم اهتمامنا بالغير ، ما دمنا قد أرضينا أنفسنا ، وما نظن أن فى الأمم من تمثلنا فى عدم الاهتمام بالمحيط الاجتماعي ، وقلما نعنى بما تقضى به اللياقة أوقلما نفطن إلى أن هناك شيئاً يدعى اللياقة . أقول هذا وليغضب القارىء العزيز ما شاء له غضبه ، فأنا متحمس كما ذكرت على غير عادتى ، وإن كنت ضناً بصحتى أدعو الله مخلصاً ألا يرينى بعد اليوم ما يعود بى إلى مثل هذه الحماسة !

الخفيف

حقوق المرأة

للأستاذ على عبد الله

يخيل إلىّ أن الذين يطالبون بحقوق المرأة ... ويريدون لها أن تشترك فى السياسة ، وتعطى صوتها فى الانتخابات النيابية ، إنما يتآمرون عليها ويعملون على تضييع حقوقها ، وإفسادها بإخراجها عن طبيعتها ووظيفتها التى خلقت لها

لأن الله خلق المرأة لتكون أنثى ، وجعل وظيفة الأنوثة من أهم وظائف الحياة ، وأتاح للمرأة أن تبدع فيها وتنتج ماشاء لها الإبداع والإنتاج ؛ وهيأ لها كل فرصة للبلوغ بهذه الأنوثة إلى قمة المجد والعظمة

ولذا كان كل تصرف أوعمل يراد به إبعاد المرأة عن عملها ، وإخراجها عن دائرة اختصاصها ، وإشراكها مع الرجل فيما هو من عمل الرجولة محاولة طائشة ليست من مصلحة المرأة فى شىء

إنهم يطلبون مساواة المرأة بالرجل !! فاذا فرضنا أن هذه المساواة قد تمت ؛ بل انفرض أن المرأة قد أصبحت رجلا بالفعل!! فهل تكون أسعد حظاً وأكبر شأناً أو أعظم منزلة مما هى الآن ؟

ما أظن ذلك أبداً ، وما زالت المرأة فى نظرى تعتز بجمال الأنوثة ، وتباهى بالطرف الكحيل ، والخد الأسيل ، والخصر النحيل ، ولو أنك شبهت امرأة برجل مرة واحدة لاعتبرت ذلك إهانة لها وتجريحاً لجمالها ! !

ولعل الذين يطالبون بمساواة النساء بالرجال لايدرون أن من الخير للمرأة أن تبقى كما هى ولا تؤدى من الأعمال إلا ما يتفق مع رقة الأنوثة وسحر النساء ، وأنها فى أنوثتها أفضل ألف مرة مما لو كانت قريبة من الرجولة

ولا شك أن طلب النساء المساواة بالرجال كطلب الرجال المساواة بالنساء ، فاذا أمكن أن يستقيم هذا المنطق مع منهاج الحياة الاجتماعية أمكن للمطالبين بحقوق المرأة أن يحققوا مطالبهم ! !

إننى أعتقد أن المرأة ليست فى حاجة إلى شىء من الحقوق حتى تطالب به ! فهى فيما أرى متمتعة بكافة الحقوق التى منحتها إياها الطبيعة والشريعة ، وهى مساوية لحقوق الرجل تماماً ، وكل مافى الأمر أن هذه الحقوق تختلف باختلاف الجنسين ، وقد فرض الله لكل منهما ما يتفق مع فطرته وقدرته وخلقته ، وبذلك يمكن النظر إلى ما للرجل وما للمرأة عن طريق الموازنة والتعادل ، لا عن طريق المساواة وتوحيد الأعمال ، لأن هذا يفسد نظام المجتمع ويضع الأمر فى يد غير أهله ، وقد يسر الله كل جنس لما خلق له

وبشىء من الموازنة بين ما قررته الشريعة للنساء والرجال نجد المرأة فى الكفة الراجحة ، ونرى أنها حين تطلب المساواة بالرجل تنزل عن شىء كثير من امتيازاتها

هذا عقد الزواج الذى يجمع بين المرأة والرجل ، يلتزم فيه الرجل بالمهر والنفقة بجميع أنواعها : نفقة السكن والغذاء والكساء وما يتبعها من ملحقات ، وهو مع ذلك كله لايعطى الرجل أكثر من حق الاستمتاع بالمرأة استمتاعاً عاطفياً بحتاً مجرداً عن الماديات والخدمة والتسخير

وقد حددت الشريعة هذا المعنى بنص الآية الكريمة (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

وإذاً فالعلاقة بين الزوجين يجب أن تقوم على أساس سكون النفس وارتياحها واطمئنانها ورضاها ، ولن يتأتى هذا السكون إلا بتجاوب الشعور ، وتبادل العاطفة وتقارب الثقافة وتكافؤ التربية . وأضافت الشريعة إلى هذا كله وجوب توفر المودة والرحمة ، وكلها صفات عاطفية مجردة عن المنفعة والانتفاع ، وهذا نوع عجيب من السمو رفع المرأة إلى أرقى المراتب ووضع العلاقة الزوجية فى أسمى الدرجات

لقد كانت المرأة فى الجاهلية تباع وتشرى ، وتكره على الزواج والبغاء ، وتورث ولا ترث ، وتمنع من التصرف فى مالها ، وكان قدماء الرومان يشكون فى أنها إنسانة ويعتقدون أنها حيوان نجس لم يخلق إلا للخدمة ، وكان بعضهم يغالى فى اتقاء شرها ويرى تكميم فمها لمنعها عن الكلام كالكلب العقور أو الجمل العضوض ! ! وأغرب من هذا أنه كان يباح للوالد ذبح ابنته أو دفنها فى التراب وهى على قيد الحياة دون أن يؤخذ بجزاء أوقصاص (وإذا بُشّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم

يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هُون أم يدسه فى التراب ألا ساءَ ما يحكمون) وكانوا يقولون فى مأثور الحكم (دفن البنات من المكرمات) ومن أغرب ما يرويه لنا التاريخ عن فرنسا التى وضعت دستور الحرية للعالم … أنها لم تقرر أن المرأة إنسانة إلا سنة ١٥٨٦ ، أما الإسلام فقد نسخ هذه الأوضاع وساوى بين الرجل والمرأة بقوله : (ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقَكم من نفس واحدة وخلقَ منها زوجها) (من عملَ صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينهُ حياةً طيبة) (ياأيها النبى إذا جاءكَ المؤمنات يُبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهنَّ ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن فبايعهنَّ واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم) (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف . وللرجال عليهن درجة)

هذه الآيات الكريمة تبين لنا بمنتهى الوضوح أن المرأة لها مثل ما للرجل من الحقوق فى القيمة لا فى النوع ، وليس للرجل عليها غير درجة واحدة ، هى حق الرعاية والحماية والولاية ، وهو حق تقرره طبيعة الحياة ، إذ لا بد لكل أسرة من راع يتولى أمرها ويحمل المسئولية عنها ، والرجل فى هذا المقام أولى بالرعاية لأنه صاحب الفضل والجهد والنفقة والمسئولية

(الرجال قوّامون على النساء بما فضلَ الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)

حتى هذه الدرجة التى جعلها الله للرجل على المرأة ، لم يشأ أن يجعلها خالصة له بدون عوض ، فكلفه بالسعى وأعطاه حق القيادة ، وألزمه النفقة ، وخصه بالولاية والقوامة ، وجعل له الضعف فى الميراث وحمَّلهُ تكاليف المهر والإنفاق ، فتعادلت الكفتان ، وعرف كل فريق حقه ، ولم يعد لأحدهما أن يبغى على الآخر

وإذاً فما بال المرأة تحاول العدوان على الرجل وتريد أن تسلبه وظيفته وتزاحمه فيما هو من شأنه ؟ ! وهل هى بهذه المساواة التى تطلبها تريد أن تشترك فى الإنفاق ودفع الصداق ، والكفاح فى الحياة من أجل مطالب الأسرة ؟ أم أنها تريد الاشتراك فى التشريع والحكم والنيابة دون أن تشترك فى الأعباء والتكاليف ! !

وهبها استطاعت أن تحاكى الرجل فى كل شىء ، وتشاركه فى كل أمر ، فهل تعتقد أن هذا يحقق لها المساواة ؟ وهل فى استطاعتها أيضاً أن تجعل الرجل يحمل ويلد ويرضع أم تقف عاجزة أمام هذه الفوارق الطبيعية التى لا حيلة لأحد فيها ؟ !

وإذا فرضنا أننا أعطينا المرأة حق التصويت فى البرلمان ، فسيتبع هذا إعطاؤها حق النيابة ، وحين يصبح النساء أغلبية فى المجلس تقضى التقاليد البرلمانية بتأليف الوزارة منهن ، وليس ببعيد أن نرى فى مصر بعد تنفيذ هذا الاقتراح وزارة من الجنس اللطيف !

وأنا مطمئن إلى أنه سيكون من أول ما تقرره هذه الوزارة اللطيفة … إلغاء الضرائب المفروضة على الوارد من أدوات التجميل والجوارب (النايلون) وأقلام الشفاه الحمر وزجاجات العطور ، وأصباغ الأظافر ، وإنشاء المعاهد العالية لابتكار الأزياء وخياطة الملابس وابتداع أنواع من الأحذية تزيد الأقدام جاذبية وإغراء ولا ريب أن وجود النساء فى البرلمان يجعل لهن حق التشريع ووجودهن فى الوزارة يعطيهن سلطة التنفيذ وبذلك تنعكس الآية وتكون النساء قوامات على الرجال

ألا ليت الذين يتعلقون بهذا الخيال يعلمون أن العالم فى حاجة إلى الأنوثة كما هو فى حاجة إلى الرجولة ، وأن لكل منهما اختصاصاً فرضته الطبيعة على الجنسين ؛ فمحاولة خلط عمل النساء بعمل الرجال محاولة طائشة تؤدى إلى انهيار النظام الاجتماعى وفساد الأسرة وخراب البيت !

والبيت مملكة قائمة بذاتها تحتاج إلى مجموعة كبيرة من القوى والجهود لتنظيمه وتدبيره ، وتوزيع الزمن والجهد والثروة على ما تتطلبه من متاعب الحمل والرضاع والتمريض ومشاكل الطهى والنظافة والتدبير وشواغل التعليم والتربية والتوجيه والتوفيق بين رغبات الأطفال ، ومشاكل العيال ، وحقوق رب البيت فى الراحة والسكون والمتاع والاستجمام

هذا هو عمل المرأة فى البيت وهو عمل ليس هيناً ولا سهلاً ، فإذا أرادت أن تخدم وطنها فهذا هو السبيل الصحيح ، وإذا شاءت أن ترفع الأنوثة إلى ذروة المجد وقمة العظمة ، فليكن ذلك من طريق الإبداع فى تنظيم البيت وتحويل هذه المملكة الصغيرة إلى جنة وارفة الظلال ، مخضرة العشب يجد الأطفال فيها حنان الأمومة وجمال العطف ويشعر الزوج فى ظلها ببرد الراحة ، ونعيم العافية وصفو العيش الرغيد !!

(المنصورة) علي عبد الله

الجهاد الوطني في مراكش

للأستاذ عبد الكريم غلاب

في جمع ضم نخبة ممتازة من أصحاب الدولة والمعالي من مصريين وشرقيين وعرب تحدث متحدث عن مراكش وما تلاقيه في سبيل الحصول على استقلالها ، فرد عليه أحد أصحاب المعالي قائلا : إننا لا نسمع إلا قليلا عن الحركة الوطنية في مراكش ، ولذلك لا نستطيع أن نقوم نحوها بشيء جدي .

ذلك حديث صاحب المعالي ولست أدري أأنكر عليه حديثه أم أسرد عليه بعض الحقائق التي تبرهن له على أن مراكش جاهدت في سبيل استقلالها جهاد المستميت ، وضحت في سبيل قوميتها تضحية لا أحسب أن أمة شرقية ضحت أكبر منها .

والحقيقة أن مراكش وقعت تحت الحماية الفرنسية . ويكفي أن أقول « الحماية الفرنسية » ليدرك إخواننا العرب في الشرق ما تعانيه هذه الأمة من بطش وجور واضطهاد ، وليدركوا أيضا - إن كانوا قد سمعوا أو رأوا ما وقع في سوريا ولبنان طول ربع قرن - ما يتجرعه المراكشيون في سبيل كيانهم الوطني ؛ مع ما يوجد هناك من فارق جوهري بين الحالة في الشرق والحالة في مراكش . وهذا الفارق هو أن مراكش وقعت في الركن الغربي لشمال أفريقيا ، وبذلك أصبح في إمكان الفرنسيين أن يقفلوا الأبواب في وجهها ، ويكتموا أنفاسها حتى لا يسمع صوتها أحد في الشرق أو الغرب . وقدتم لها ذلك . فما إن تتحرك البلاد حتى تقفل جميع الحدود ، وتمنع إدارة البرق من أن ترسل أي رسالة إلى الخارج وبذلك يتم للفرنسيين أن ينفردوا بمراكش فيقضوا على حركتها بالحديد والنار - ويخمدوا أنفاسها إلى حين ، وبذلك لا يدري أحد ماذا جرى في مراكش .

ألست ترى معي أن صاحب المعالي معذور في قوله إن حركة مراكش لا يسمع لها صوت ؟ وسنحاول في هذا الحديث أن نلخص جهاد المراكشيين في سبيل استقلالهم وحريتهم .

يبدأ تاريخ الجهاد الوطني منذ فكر الأجانب في احتلال مراكش ، وقد فطن لذلك المراكشيون فكانت ثورة المولى عبد الحفيظ وتوليته العرش سنة ١٩٠٧ قائمين على أساس إبعاد خطر الأجانب عن البلاد والقيام بالإصلاحات الداخلية التي يتطلبها العهد الجديد كما ورد في الوثيقة التي بويع على أساسها . وقد قام المراكشيون في ذلك العهد ضد المولى عبد العزيز وعملوا على خلعه لأن النفوذ الأجنبي بدأ يتسرب إلى البلاد في عهده . ولما أخفق المولى عبد الحفيظ في إبعاد الفرنسيين عن البلاد وإخراجهم من مدينتي « وجدة » و « الدار البيضاء » وأكره على إمضاء معاهدة الحماية سنة ١٩١٢ ، قامت ثورة في مراكش كلها وخاصة في العاصمة « فاس » التي حدثت فيها مصادمات عنيفة بين الشعب المراكشي والجيش الفرنسي . وهذه المصادمات - وإن انتهت بالإخفاق - إلا أنها دلت على ما في الشعب المراكشي من حيوية كادت ترغم الفرنسيين على الجلاء عن العاصمة ، لولا الإمدادات القوية التي تلقاها المرشال « ليوطي » قائد الحملة الفرنسية . والمؤرخون الفرنسيون الذين تحدثوا عن هذا العهد يقدرون هذه الحوادث التي يسمونها « أيام فاس السوداء » .

ولئن استسلم المراكشيون في المدن الكبرى لأنهم غلبوا على أمرهم تحت مدافع الفرنسيين وبنادقهم . فقد استمرت الحرب في القبائل الجبلية وخاصة في الجنوب . استمرت حرب العصابات بين الفرنسيين والمراكشيين اثنتين وعشرين سنة فلم تستسلم حاميات الجنوب إلا في سنة ١٩٣٤ .

وفي هذه الفترة قام الأمير عبد الكريم الريفي ليخلص البلاد من يد الاسبانيين والفرنسيين ، ولا نريد أن ننوه بانتصاراته المديدة ، وبما لاقته الجيوش الاسبانية ، والفرنسية على يديه ، فإن القراء في الشرق العربي يعرفون هذه الحروب ويقدرونها ، وهم يعرفون أن عبد الكريم بطل مراكش لم يعمل على بناء مراكش الحديثة فحسب ، ولكنه ساهم في بعث الروح العربي في الشرق أيضاً . ويكفي أن نقول إن انتصاراته أقضت مضجع أوروبا كلها ، وجعلت مجلس النواب في كل من فرنسا واسبانيا يطالبان بسحب الجيوش من مراكش ، والتسليم للأمير عبد الكريم ، وقد كادت تقوم ثورة شعبية في اسبانيا لتنقذ

البلاد من ويلات الحرب الريفية التى اســـتمرت زهاء خمس سنوات كاملة .

ولم يكد الأمير عبد الكريم يلقى سلاحه حتى تلقفته منه الحركة الوطنية الســـلمية التى أعلنت ابتداء جهادها فى مايو سنة ١٩٣٠ . قامت هذه الحركة لتعمل على تخليص البلاد من نير الاستعمار الفرنسى والإسبانى ، فأخذت تعمل جاهدة لتحقيق المطالب القومية للشعب المراكشى . وقد تمثلت هذه الحركة فى حزب واحد هو « كتلة العمل الوطنى » وكان لهذه الكتلة برنامج وطنى يشمل الإصلاحات الضرورية التى يجب على كل من فرنسا واسبانيا أن تعالج بها الحالة فى مراكش . وما كادت الكتلة تعلن عن وجودها حتى التف حولها الشعب ، وأصبح الفرنسيون يدركون خطرها على مشروعاتهم الإستعمارية ، ومن ثم أخذوا يقاومونها مقاومة أدت إلى اصطدامهم بالشعب مرات عديدة ، وكان من نتيجة ذلك أن سقط فى ميدان الجهاد عدد كبير من المجاهدين المراكشيين .

وكانت سبيل الفرنسيين فى محاربة الحركة الوطنية تقوم على إقفال الأبواب فى وجه الوطنيين ومنعهم من كل عمل من شأنه أن يقوى نفوذهم فى الشعب . فقد كانوا ممنوعين من إصدار صحيفة عربية واحدة تعبر عن آرائهم كما منعوا من فتح نواديهم ، ومن إعلان صوتهم بأى طريقة من طرق الإعلان . جاهد الوطنيون ليزيحوا عنهم هذا النير ، ولكن الفرنسيين كانوا يمعنون فى طرقهم الاستعمارية ، وهذا ما جعلهم يصطدمون بالشعب المراكشى فسلطوا جند السنغاليين المعروف بقسوته ووحشيته على الشعب الأعزل ... وأخيراً أصدرت السلطة قراراً بحل كتلة العمل الوطنى وأغلقت نواديها وصحفها ، وقبضت على زعمائها ، وبقى زعيم الكتلة محمد علال الفاسى فى منفاه بالكابون فى افريقيا الإستوائية منذ سنة ١٩٣٧ إلى الآن

وهكذا أصبحت مراكش مباءة للثورات الجامحة فى سبيل الحرية . ولكن لم يكن جهاد الحركة الوطنية ثوريا يعمل على زحزحة النفوذ الأجنبى بالثورات فحسب ، ولكنه كان جهاداً يقوم على أسس متينة لبناء صرح الأمة المراكشية . فرجال الحركة رأوا أن الإدارة الفرنسية لا تقوم بشىء يذكر فى سبيل التعليم ، ولذلك قاموا بحركة تعليمية واسعة النطاق ، ففتحوا المدارس الحرة فى جميع أرجاء البلاد برغم ما قاسوه من محاربة الإدارة الفرنسية لهم ؛ وبذلك أنشأوا جيلا متعلما من الشباب ، وكان مجهودهم فى سبيل التعليم أضخم من مجهود الإدارة برغم الأموال التى خصصتها الإدارة فى ميزانيتها للتعليم . وقاموا أيضاً بحركة تحريرية اجتماعية فجندوا الشباب لمحاربة الجهل والفقر ولتنوير أذهان الشعب ، وحملوا حملة منكرة على بعض العادات والتقاليد التى يغذيها الاستعمار الفرنسى. ثم قاموا بحركة خطيرة وهى اقتحام مناطق جبال الأطلس التى منع الفرنسيون دخولها إلا بجواز سفر.وبذلك فضحوا (السياسة البربرية) التى اتبعتها فرنسا فى هذه المناطق والتى تقوم على فصل جنوب مراكش عن شمالها . وقد ساعدت الحركة الوطنية فى بعث النشاط الأدبى والفكرى فى مراكش فقاموا باصدار مجلات وكتب أدبية تعرضت هى الأخرى للمصادرة والتعطيل . ومما يذكر للحركة الوطنية بالفخر أنها أنشأت صحفاً ونوادى وجمعيات فى قلب باريس للدفاع عن مراكش . وكان لمجلتى « مغرب » و « أطلس » الفرنسيتين اللتين كان يحررهما الشبان المراكشيون فى باريس أثر كبير فى الرأى الفرنسى فأوجدت نوابا ووزراء فرنسيين يعطفون على الحركة المراكشية .

وقامت الحرب الأخيرة فقام المراكشيون يساعدن دول الحلفاء ويبذلون أبناءهم الذين حاربوا فى كل الميادين الهامة ببسالة شهد لهم بها مستر تشيرشل فى إحدى خطبه ، وقدمت الحكومة المراكشية أموالا طائلة مشاركة منها فى المجهود الحربى . ثم قدمت لفرنسا المحاربة وللجنة التحرير الفرنسية قروضا كبيرة استعانت بها فى استرجاع بلادها المحتلة . وقد سخرت جيوش الحلفاء أرض مراكش وموانئها ومطاراتها واستفادت من منتجاتها الضخمة. كل ذلك ظنا من المراكشيين بأن الحرب ستخلق مبادىء جديدة وستتيح للشعوب الصغيرة أن تتمتع بمبادىء ميثاق الأطلنطى . ولذلك اتحدت كلمة الأمة تحت زعامة « حزب الإستقلال » الذى قدم وثيقة لدول الحلفاء ومن ضمنهم فرنسا ، طالب فيها باستقلال مراكش ، وتوحيد أراضيها ، وإقامة نظام ديمقراطى دستورى ؛ كان ذلك فى يناير سنة ١٩٤٤ ولم تكد تعلن هذه الوثيقة حتى

الشباب والفراغ والجدة

للأُستاذ مصطفى القونى

[هذه الكلمة هى خاتمة الفصل الأخير من الطبعة الثانية من كتاب « الأثمان : عرض جديد لأصول علم الاقتصاد » الذى طبع فى دار الرسالة وظهر فى هــذا الأسبوع عن مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة]

يصل المجتمع إلى أقصى قدر من الرفاهيــة الاقتصادية إذا استغل موارده على النحو الذى يتيح له أقصى قدر من الشباب والفراغ والجدَة . ونعنى بالجدَة الثروة . ونعنى بالفراغ أن يقصر وقت العــمل بالقدر الذى يهيء للناس التمتع بثمرات عملهم . ونعنى بالشباب علو مستوى الصحة العامة ، لأنه لا خير فى العيش إذا فسدت آلته ، وآلة العيش صحة وشباب .

والمشكلة الإقتصادية هى مشكلة قلة الوقت والموارد ، فاذا استطاع المجتمع أن يستغلها أفضل استغلال خفف من حدة قلتها وفاز من القليل بالكثير .

ولكن الثروة والفراغ والقدرة على الاستمتاع وإن كانت نعمة حين تتاح للناس فى مجموعهم ، فإنها تنقلب نقمة إذا اختص بها أفراد دون آخرين ، نقمة تفسر قول من قال :

« إن الشباب والفراغ والجدَه مفسدة للمرء أىّ مفسده ! »

ولنرو الآن طرفاً من مفاسد تباين ثروات الناس وتباين دخولهم .

إن ثروات بعض الناس تغنيهم عن السعى لكسب أرزاقهم ، ويعيش مثل هؤلاء عيشة بطالة اختيارية . وليس للبطالين مايشغلهم غير الجرى وراء حوافز الاستمتاع ومثيرات الشهوات ، فهم يخلقون لأنفسهم « حاجات » ثم يجرون وراء إشباعها . ويقبل البطالون على شرب الخمر ، مثلا ، تزجية للفراغ وهرباً من السأم والملالة ، ولكن غيرهم يحاول أن يجرى مجراهم فتشيع المفاسد بين العامة الذين يحاولون أن يتشبهوا بالخاصة وإن لم يكونوا مثلهم (١)

ومن هنا كان توجيه جانب من نشاط المجتمع الاقتصادى إلى إشباع « حاجات » البطالين ومن يجرون مجراهم . والنشاط الاقتصادى ، أو السعى للرزق ، عبارة عن صنع أشياء أو أداء خدمات يطلبها أناس ويدفعون نظيرها « ثمنا » . وإقبال الناس على شرب الخمر يدفع غيرهم إلى التوسل للعيش بالخدمة فى المواخير وطالب القوت ما تعدَّى .

وبعض من ينظرون فى كتب الاقتصاد نظرات عابرة ، ينعون على الاقتصاديين اعتبارهم الرغبات المحرمة والسافلة « حاجات » وينعون عليهم وصف ما يسد هــذه الرغبات بصفة « النفعة » . ولكن الاقتصاديين يحللون النظام الاقتصادى ، بما فيه من خير وشر ، ويحاولون تفسير دوافع السعى للرزق وغايات هذا السعى . ويسعى المرء للرزق بالقيام بعمل «يطلبه» غيره ويدفع فيه «ثمناً» وندفع الناس ثمناً لما يطلبونه لأنهم يرون فيه منفعة ، أى صلاحية لسد رغبة ؛ وقد تكون هذه الرغبة عالية أو سافلة ، حلالا أو حراماً ، خيراً أو شراً ، ضرورة أو ترفاً . وإهمالنا دراسة الحاجات التى يجرى بعض الناس وراء إشباعها ، بالرغم من أن

(١) انظر ارفنج فيشر : مبادىء الاقتصاد الأولية ، ص ٤٩٤ وما بعدها .

جند الفرنسيون جنودهم ، وقبضوا على زعماء الحزب وشردوهم ونفوهم ، ثم أطلقوا يد السنغاليين فى كل المدن والقرى ، فمثلوا مأساة يندى لها جبين الإنسانية ، ومنعت الإدارة الفرنسية عن المدن والقرى مواد التموين الضرورية والماء والنور . ولكن المراكشيين ثاروا فى وجه الفرنسيين وحلفائهم السنغاليين ، فوقعت معارك طاحنة سقط فيها مئات المراكشيين ضحية دفاعهم عن حريتهم واستقلالهم ، وحكم بالإعدام على كثير من الوطنيين وبالنفى والسجن مع الأشغال الشاقة على كثير غيرهم ولا يزال زعيم الحزب أحمد بلا فريج منفياً بجزيرة كورسيكا رغم إصابته بأمراض خطيرة . ولكن الحركة لم تمت بل ازداد الشعب إيماناً بحقه فى الحياة الحرة الكريمة ولا يزال يعمل رغم ما ينتابه من نكبات إلى أن يصل ، وسيصل …

عبد الكريم غلاب

فى هذا الجرى خروجاً على مبادىء الدين والخلق ، نقول إن إهمال هذه الحاجات هروب من الواقع الذى نتناوله بالتحليل للكشف عن علله وأسبابه وهل يتورع من يقومون ، فى المعامل ، بتحليل فضلات الإنسان أو الحيوان ، عن مسها لقذارتها أو لنجاستها ؟

ولنعد إلى مساوى تباين ثروات الناس . إن الإفراط فى الغنى كالإفراط فى الفقر ، نقمة على صاحبه . وإن أحس الفقير ألم الجوع فان الغنى قد يصاب بالتخمة . وإن لم يجد المعدم ما يستر عريه فان إفراط الثرى فى التأنق يحمله هماً كان حرياً به أن ينأى عنه . وإن كانت مساكن العامة تزدحم بهم ازدحاماً ، فان عناية الخاصة بمساكنهم الرحيبة تشغل بالهم بما لا طائل وراءه .

وانقسام الشعب شعبين ، أغنياء وفقراء ، جناية على الأخلاق ، وبنات المعدمين فريسة سهلة لإغراء المترفين وسماسرتهم الذين يتوسطون بين من يبعن أجسادهن وأرواحهن وبين من يشترونها .

وتحاول الديمقراطية السياسية أن تسوى بين الناس ، وإن اختلفت أقدارهم فى المجتمع ، وذلك بأن تجعل لكل فرد صوتاً واحداً فى انتخاب السلطات الحاكمة . ولكن الناخبين عرضة لإغراء مرشحى المجالس النيابية الذين يحاولون ، وقد ينجحون، شراء أصواتهم بالمال . وليس من السهل سيادة الديمقراطية ما لم تدعم الديمقراطية السياسية ديمقراطية اقتصادية .

ثم هناك ما يجرى من سباق بين المترفين : سباق غايته الخيلاء والزهو الذى لاينتهى إلى نهاية . وتسابق أفراد الطبقات الموسرة فى مظاهر الغنى مصدر هم لهم ، لأن كلا يسابق ويخاف أن يسبقه غيره . ومن سلع الترف ما يكاد يكون كل الغرض منه مجرد الزهو ، ومن السيدات من تقتنى جواهر نادرة ، تخاف عليها من السرقة فتصنع لها من الحلى المصطنعة نسخة تطابق الأصل ، وتخزن الجوهر النادر فى خزانتها وتتحلى فى زينتها بالحلى الزائفة . ومن جامعى روائع فن التصوير من يستأجر خبيراً يتعرف له أصالة الصور التى يقبل على شرائها ، لأنه يشتريها لا عن إحساس بجمالها وإنما عن اعتزاز بمقدرته على شرائها .

وقد يرد على ما قدمناه من أمثلة على مساوىء توزيع الثروة ، بأن الإقبال على شراء شىء ، أياً كان هذا الشىء ، يدفع إلى عمالة بعض الناس ويسرع من دوران عجلة النشاط الاقتصادى ويشيع الرخاء . ولكن ليس سواء أن يعمل أناس فى صنع الخمر أو أن يعملوا فى صنع الخبز . وليس سواء أن يشتغل المرء بتجارة الماشية أو بتجارة الرقيق وإنه لإسراف ، ومفسدة أى مفسدة ، أن تحول بعض موارد المجتمع من إنتاج ما يسد الحاجات الضرورية لجمهرة الناس إلى إنتاج ما يشبع نزوات البطالين والمترفين .

وتقليل التفاوت بين الدخول يقلل من الظلم الاجتماعى ويهيء الفرصة لزيادة رفاهية المجتمع . والقضاء على تباين توزيع الثروة ، وعلى تفاوت الفرض ، قد يكون عن طريق الثورة كما قد يكون عن طريق التطور التدريجى ، ولكل من السبيلين أنصار .

وتتدخل الحكومة محاولة إصلاح ما فسد ، وتفرض ضرائب على الموسرين والقادرين على تحمل عبء الضريبة ، وتنفقها على ما يعود بالخير على الجميع . وكلما زاد تدخل الحكومة فى هذا الشأن قل المدى بين الثروات المختلفة والدخول المختلفة ، وسار المجتمع خطوة نحو تحقيق العدالة الاجتماعية .

مصطفى الفولى

أعلام معاصرون:

محمـــــد عبد المطلب

١٨٧٠ – ١٩٣١ م

للشيخ محمد رجب البيومى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

ولقد انتقل رحمه الله إلى عدة مدارس ابتدائية وثانوية حتى اختير أستاذاً بمدرسة القضاء الشرعى ، وكانت شهرته قد طارت إليها بما نشره من حين لآخر فى الصحافة ، فاستقبل بالتجلة والترحيب ووجد نفسه أمام عقول مستنيرة تفهم آراءه وتسير معه فى اتجاهه ، فأخذ يغرس فى نفوسهم حب الأدب والفضيلة ويدفعهم إلى التعصب للعربية فى وقت هوجمت فيه من أعدائها المتعصبين . ولقد غالى فى ذلك مغالاة عدها الكثيرون رجعية وجمودا فكان لا يحفل بما تخرجه المطبعة العربية من الكتب الحديثة بل يحث على الانتفاع بالآثار الأدبية القديمة أولا وقبل كل شىء ، فإذا ما درست دراسة وافية كان المجال فسيحا لغيرها ، ثم شفع القول بالعمل فأخذ ينهج فى إنتاجه نهج القدامى من فطاحل العصر العباسى ، فكان يبتدىء قصائده بالغزل الرائق ، مكثرا من الغريب المجلجل ، مستعينا بخياله البدوى فى التوليد والتصوير ، وتلك منة كبرى أسداها إلى الأدب العربى ، فهو يذكر الناس بين الفينة والفينة بمن ينسج على منوالهم فيفيئون إلى الدواوين القديمة باحثين مستفيدين ، ولا شك أن الأدب العربى كان فى مبدأ هذه النهضة محتاجا إلى المحافظ أكثر من احتياجه إلى المجدد ، وإلا فكيف نتشدق بالابتداع والتجديد ، وتراثنا الرائع القويم لا يزال فى ظلمات النسيان تشيح عنه الوجوه وتستعجمه الأفهام ! !

وأحب أن أكشف عن حقيقة مطموسة ، فالذائع المشهور أن أمير الشعراء هو أول من كتب الروايات المسرحية الشعرية . فقد أصدر أولى رواياته « كيلوباتره » سنة ١٩٢٨ م ثم أعقبها بعدة روايات مشهورة ، والواقع أن عبد المطلب قد سبقه إلى ذلك بعشرين عاماً ، فقد نظم فى سنة ١٩٠٩ وما بعدها بضع روايات شعرية ذات فصول ومناظر تمثيلية ، وقد جعلها متينة الحوار، سريعة الحركة ، حسنة المفاجأة . وكلها عربية بدوية تتخذ أسماء لامعة فى تاريخنا الادبى « كالمهلهل » و « امرىء القيس » و « ليلى العفيفة » ومن المؤسف حقاً أنها لا تزال فى غمرة الجحود مخطوطة بدار الكتب المصرية ، ولعلنا نجد من يخرجها للناس فى ثوبها اللائق ، فهى وحدها الدليل على تجديد عبد المطلب وتنبهه إلى عنصر هام من عناصر الشعر قد أثبتت الحياة مزيد احتياجنا إليه ، فليت الذين يرجفون بجفاف الشاعر وجموده يلتفتون إلى هذه المأثرة الخالدة ثم يحكمون !! .

وأنت إذا نظرت إلى المآخذ التى توجه إلى شعره تجدها منصبة على تغلغله فى الأخيلة الصحراوية ، وهيامه بالأماكن البدوية وإكثاره من الغريب الفحل ، مما يعتبر محاكاة وترسما لا تجديداً وابتداعاً ، وفى رأيى أن عبدالمطلب بالذات غيرملوم فى ذلك ، لأنه عربى صريح نشأ فى بيت يفخر بانتمائه إلى الجزيرة العربية ، فهو حين يهتف بنجد والعقيق وسلع إنما يعبر عن وجد مشبوب ، ويحن حنيناً محرقاً إلى أماكن يعتز بها مدى الحياة ، فلا عليه إذا جال فى هذا الميدان وصال ، وأحرى بنا أن نوجه هذا النقد إلى غيرى كالبارودى مثلا ممن لا ينتمون إلى الجزيرة ولا يشعرون نحوها بعاطفة وانجذاب ! !

وإذا كنا نعد من حسنات الفرزدق على اللغة العربية أنه أحيا ثلثها فى شعره ، فلماذا ننكر على عبد المطلب إكثاره من الغريب المستساغ فى وقت جاهر فيه أعداء اللغة بعجزها عن مسايرة الحياة ، ألا يكون ذلك توجيهاً صالحاً منه إلى تحصيل اللغة ودراسة معاجمها الواسعة حتى تسعفنا بما نفتقر إليه من كلمات ! !

هـذا وقد شاءت الظروف السياسية أن ينتقل من مدرسة القضاء الشرعى إلى مدارس وزارة الأوقاف !! فحيل بينه وبين العقول الممتازة التى كانت تنتفع بآرائه وتوجيهه ، ووجد نفسه أمام طائفة أخرى لا تزال فى الدور الأول من التعليم ! !

وقد اعتبر الفقيد وجوده فى مدارس الأوقاف محنة قاسية قابلها بالصبر الجميل ، على أنها كانت فى الواقع محمدة جميلة . فقد خلص من دروسه العميقة فى القضاء الشرعى، وعكف على الإنتاج

الأدب الرفيع، وكانت الحرب العظمى الأولى فى ذلك الوقت مندلعة اللهيب . ثم تلتها الثورة المصرية الصاخبة ، فوجد الشاعر من أحداث زمانه ميادين شاسعة يحلق فيها بخياله الجموح ، وحين نطالع ديوانه نجده حافلا بالقصائد السياسية التى تعتبر فى الواقع وثائق تاريخية صحيحة يحتج بها الباحثون ، فما من عاصفة سياسية هبت بمصر إلا خلدها عبد المطلب فى شعره الرائع — إلى جانب ما كان يكتبه من مقالات طنانة الدوى عميقة التأثير — ولعلك تسأل معى لماذا لم تذكر سياسياته الشعرية كما ذكرت سياسيات حافظ إبراهيم ؟ والجواب على ذلك أن الشعر السياسى شعر شعبى لا يدور على الألسنة إلا إذا كان سهلا واضحاً يفهمه العامى قبل المثقف . وقد كان حافظ رحمه الله يأتى فى السياسيات بنوع خاص بما يناسب عقل الجمهور ، فطار شعره السياسى كل مطار . ورواه الريفيون فى القرى قبل المثقفين فى الأندية ، أما عبد المطلب فقد كان محافظاً على نسجه الرصين وجزالته القوية ، فنجا شعره من العامة وظل منهلا رائقاً يرده المثقفون ، وإذا شئت الدليل على ذلك فاقرأ قصيدة حافظ فى سعد زغلول يوم اعتدى عليه ومطلعها

الشعب يدعو الله يا زغلول   أن يستقل على يديك النيل

ثم اقرأ قصيدة عبد المطلب فى هذا الموضوع

رمى وسهامُ الله فى نحره رد   فلا تأس حاطتك العناية ياسعد

فإنك بلا شك ستسايرنى فيما أقول

وأود أن أنبه القارىء إلى قصيدة عبد المطلب فى الحرب العظمى فهى وحدها كافية للتدليل على مذهبه فى الشعر . ولقد عبر فيها عن إحساس الشعب المصرى أصدق تعبير ، فكانت سوطاً نارياً يلهب ظهور الإنجليز ، وقد مكثنا سبعين عاماً نضج من المتصبين ونرى بأعيننا كتائب الاستعمار رائحة إلى الحانات والمواخير ، ينتهكون الحرم . ويصرعون العفة ، ولكن لم نجد فى شعرائنا مَنْ صوَّر هذه المناظر المخجلة فى جزالة لفظ وقوة أسر ، غير عبد المطلب حين قال :

تبصر خليلى هل ترى من كتائب   دلفن بها كالسيل من كل مودق

سراعاً إلى الحانات تحسبهم بها   نعاماً تمشى رزدقاً خلف رزدق

يهولك مرآها إذا اصطخبت بهم   مواخير تجلو فاسقات لفسَّق

إذا أجلبوا فيها حسبت ضفادعاً   تجاذبْن إيقاعاً على صوت نقنق

زعانف شتى من طويل مشذب   طرى القرى عارى الأشاجع أعنق

ترى منه فى بحبوحة الأمن باسلا   وإن يدعه الداعى إلى الكر يحبق

والقصيدة كلها وقد جاوزت المائتين تضرب على هذا الوتر الرنان ، وطبيعى أنها لم تنشر فى حينها بل ظلت فى مدرجة النسيان حتى قرأناها بالديوان !! والعجيب أن عبد المطلب — بعد انتقاله من سوهاج — لم ينشر خرائده تباعا فى الجرائد اليومية كما فعل قرناؤه بل ظل محتفظاً بها فى مسوداتها غير اليسير مما أنشده فى المحافل العامة وسارعت الصحافة إلى تدوينه !! ولعلك تقف معى من هذا على تواضعه الجم وعزوفه عن الشهرة ، ولا أدرى أى ذخيرة غالية قدمها الأستاذ الهراوى إلى العربية يوم جمع قصائد الفقيد فى سفر خاص فكانت كأس النديم وعبير المشتاق

على أن مدة الشاعر لم تطل بوزارة الأوقاف ففى سنة ١٩٢١ تقلد وزارة المعارف المرحوم جعفر والى باشا وكان ذا اتصال جيد بأرباب الفكر وحملة اليراع، فاغتنم عبد المطلب هذه السانحة وتقدم إليه آملا فى الأخذ بيده ، وكان الوزير الأريحى عند ظنه الحسن به فقد استصدر أمراً من مجلس الوزراء بنقله إلى التدريس فى دار العلوم مع إعفائه من الكشف الطبى إذ كان الشاعر يشكو ضعفاً فى قوة إبصاره، ولا تسل عن فرحته بالعودة إلى وسط ممتاز يشجعه على الدرس الجيد والبحث المفيد ، ولم يرغير الشعر مكافأة طيبة يهديها إلى معالى الوزير فشكره بقصيدة عامرة قال فيها

أنا الروض حياه ولىٌّ بديعة   عليه بأسباب الحياة استهلت

عداه الردى أحيا لمصر وأهلها   مآثر من عهد ابن يحيى تولت

(جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت   بنا نعلنا فى الواطئين فزلت)

ولم يلهه التدريس بدار العلوم عن الاتصال بالجمهور عن طريق الصحافة، فقد كان ينشر أبحاثه الأدبية دراكاً ، وحين ظهر كتاب الشعر الجاهلى للدكتور طه حسين سارع إلى نقده فى جريدتى الأهرام والمقطم ، ثم تشعب به النقاش فخاض المعركة الحامية بين الجديد والقديم . وأخذت الردود الكثيرة تتوالى على نقده وهو يناقشها مأخذاً مأخذاً حتى عد عند الكثيرين عميداً للمدرسة القديمة الاتباعية ، ولقد طبعته هذه العادة بطابع خاص ، فكان يتعمد فى أكثر إنتاجه أن يكون كما عهده الأدباء فى صدر شبابه جزلا فخلا . وأذكر أنه ما أقيمت حفلة أدبية إلا ودعى إليها عبد المطلب باعتباره ممثلا للمذهب القديم أصدق تمثيل . وكان السامعون ينتظرون الديباجة العربية منه فى شوق وانجذاب ، ففى الحفلة التى بويع فيها شوقى بأمارة الشعر وقف عبد المطلب يلقى قصيدته فهمس أديب كبير فى أذن شوقى امرؤ القيس ! امرؤ القيس !

وتكلم عبد المطلب فضج الحفل بالتصفيق الشديد ! !

ولقد كان مظهره فى الجامعة المصرية يوم ألقى قصيدته العلوية سنة ١٩١٩ رائعاً جميلا فقد ركب ناقته ومضى ينشد طويلته متشبهاً بأجداده البادين، وكان الحفل الحاشد مأخوذاً بما يرى ويسمع، فمن تدفق فى البيان وطرافة فى الموضوع، إلى غرابة فى النظر وبعد فى الاتجاه، ولقد طال نفسه فيها حتى جاوزت قصيدته أربعمائة بيت تقرؤها فى متعة وارتياح فلا تجد غير القوى الرصين ! !

أما أخلاقه الرفيعة فقد كانت دينية مثالية تبحث عنها فلا تجدها عند الذين يتظاهرون بالورع ويتشدقون بالعبادة وليسوا من ذلك فى قليل أو كثير، فعبد المطلب قد درس التعاليم الإسلامية ثم طبقها على نفسه واتخذها منهجاً يسير عليه. فكان عف اللسان، صلب العقيدة، راسخ الإيمان طاهر الذيل، متمسكا بتقاليد قومه، راغباً فى الزهد الصوفى الذى ورثه عن أبيه، وقد اشترك فى جمعيات إسلامية كثيرة. كالمواساة الإسلامية والشبان والهداية، والمحافظة على القرآن الكريم باذلا لها ما يستطيع بذله من مال وعتاد

قال شيخنا الأستاذ الاسكندرى «وكان شديد العصبية لسلف هذه الأمة وقوادها وعلمائها وشعرائها فلا يكاد يسمع بحديث مزر عليها أو غاض من كرامتها حتى يغضب لها غضبة الليث الهصور وينبرى له تزييفاً وتهجيناً نظماً وكتابة وخطابة »

هذا وقد انتدب فى سنة ١٩٢٨ للتدريس فى تخصص اللغة العربية بالأزهر الشريف، وظل به حتى لقى ربه راضياً مرضياً عنه بما قدم لدينه ولغته من العمل الصالح، وكان قد أحيل إلى المعاش من دار العلوم قبل وفاته بشهر واحد. وحين جاءه اليقين خرجت الدنيا تشيعه فى حفل مهيب التقى فيه أصدقاؤه بتلامذته المديدين باكين منتحبين، ورأى الناس الوفاء للأدب والعلم متمثلا حول نعشه فى جمع حاشد وصفه المراوى فقال :

لقد مشت الدنيا وراءك خشعاً
وما كنت فى سلطان حل ولاعقد
ألا إنها كانت قلوباً تدافعت
على الود تمشى حول نعشك فى حشد

محمد رجب البيومى

تعقيبات

بين العامية والعربية :

تقدم الأستاذ محمد فريد أبو حديد عضو المجمع اللغوى وعميد معهد التربية إلى المجمع ببحث مطول عن موقف اللغة العامية من العربية الفصحى عرض فيه لخصائص العامية وما لها من الآثار الجيلة فى معارض الكلام كالزجل والموشحات والقوما والدوبيت، وتناول ما كان لها من تطور فى الشرق وفى بلاد الأندلس ثم فى باقى الجهات الأخرى، وانتهى من ذلك إلى القول بوجوب دراسة العامية والاهتمام بها ووضع الوسائل للتقريب بينها وبين الفصحى حتى تلتقى لغة الكتابة ولغة الكلام .

وليست هذه الدعوة التى يرتفع بها صوت الأستاذ أبو حديد اليوم بالأمر الجديد، ولعلها دعوة قديمة بالية ارتفع بها الصوت فى مصر منذ أكثر من خمسين عاماً، وثارت فيها مجاجة الكلام واشتجرت حولها أقلام الباحثين، وقد استطاع أساتذة ذلك الجيل أن يصفوا حسابها وأن يفرغوا من تفنيدها وأن يأتوا فى ذلك بما لا مزيد عليه .

كان رأس تلك الدعوة رجل انجليزى موظف فى مصر يدعى «ويلكوكس»، وكان هذا الرجل داهية، درس اللغة العربية، واللغة العامية أيضاً وكان عمله الأصيل فى شئون الرى والصرف، ولكنه أثار بين المصريين الدعوة إلى العامية بحجة أنها لغة الكلام، وأنها قريبة من الأفهام، ومن العجيب أن ذلك الرجل أنشأ مجلة يومذاك سماها «الأزهر»، وكان يصطنع الغيرة على العربية وعلى الاسلام وعلى المصريين فيما يدعو إليه، وتحت ستار تلك الغيرة كان يحاول أن يسدد الطعنة النجلاء إلى العربية وإلى الاسلام وإلى المصريين .

ويبيننا كثيرون يذكرون أن الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد باشا كان له مجال فى معرض تلك الدعوة، فقد كتب مقالين فى «الجريدة» أيام كان يقوم على تحريرها يدعو فيهما إلى تمصير

اللغة » ، فانبرى كثير من الباحثين لمناقشة دعوته وتفنيد حجته ، وكأن الرجل قد اقتنع بما بدا له في معرض المناقشة إذ سكت عن تلك الدعوة إلى اليوم ، بل لقد وقف بعد ذلك يدعو إلى الفصحى ويحبذها في عدة مناسبات ...

وأنا في الواقع لا أدرى ما ذا يريد الأستاذ أبو حديد بالتقريب بين العامية والعربية ، وماذا يقصد بأن « تلتقى لغة الكتابة ولغة الكلام » ؟ !

إن موضوع القضية باطل ، لأننا إذ نقول العربية فانا نقصد إلى لغة موحدة الألفاظ والدلالات عند جميع أبناء العربية والذين ينطقون العربية ، أما العامية فانها تتوزع في الألسن إلى لهجات عديدة بل إلى لغات تختلف فيها الألفاظ ودلالاتها إلى حد كبير ، ليس في الأقطار العربية فحسب ، بل في القطر الواحد منها ، وأظن الأستاذ يعلم الفرق الكبير بين العامية في شمال مصر والعامية في جنوبها ، فأية عامية من هذه كلها يريد أن يتخذها أساساً تلتقى به لغة الكلام مع لغة الكتابة .

في جميع أمم الدنيا لغة للكلام ولغة للكتابة ، ويوم أن كانت العربية في أهلها فطرة وسجية كانت هناك لغة للكلام ولغة للكتابة . إنه رأى غريب مريب ، يعود فيرفع رأسه بعد أن قطعه أساتذة الجيل السابق . والعجيب أن يحفل المجمع بهذا الرأى الذى لا طائل تحته وأن يأمر بطبع هذا الكلام لبحثه وإبداء الرأى فيه ، كأن هذا المجمع قد فرغ من أداء واجبه نحو العربية فما بقى عليه إلا العناية بالعامية . ومن يدرى لعل الشيوخ الأجلاء يقترحون أن يكون اسم مجمعهم « مجمع اللغة العربية والعامية » ! !

بشار وروزفلت وزكي مبارك :

يبدو صديقنا الدكتور زكى مبارك في كتاباته التى يكتبها في هذه الأيام على نهج جديد ، وطريق كثير الدروب والتعاريج ، فهو يكتب كما يتحدث ، وهو لا يرتبط مع القارىء بوحدة الموضوع ولكنه يستطرد ثم يستطرد ، فيخرج من كلام إلى كلام ، ويورد كل ما يبدو من الروايات والذكريات ، وهو في هذا يعتمد على الذاكرة أكثر مما يعتمد على المراجعة ، والذاكرة مهما كانت قوة وحفظاً لا تصدق صاحبها في كل الأحيان .

وطريقة تشقيق الكلام والاستطراد هى الطريقة التى ابتدعها وآثرها كاتب العربية الكبير شيخنا أبو عثمان الجاحظ ، وليس من قصدى أن أستطرد بالقارىء إلى الحديث عن هذه الطريقة ، ولكنى أريد هنا أن أشير إلى مقال قرأته للدكتور يوم الثلاثاء من الأسبوع الماضى في جريدة « البلاغ » فوقفت فيه على روايتين جديرتين بالتصحيح تقديراً للأدب وإكراماً للتاريخ .

أما الأولى فقد قال الدكتور وهو يتحدث عن شهر كانون :

« وكان الشاعر بشار بن برد متهماً بالزندقة ، فأراد أحد الصوفية أن يحبب إليه الإيمان فقال : إن المؤمن الصادق في الجنة غرفة عرضها ألف ميل وطولها ألف فرسخ ، فقال بشار : هى إذن أبرد من كانون الثانى » ، وليست الرواية هكذا ، ولكنهم قالوا : « ومر بشار بقاص فسمعه يقول : من صام رجباً وشعبان ورمضان بنى الله له قصراً في الجنة صحنه ألف فرسخ في مثلها ، وكل باب من أبواب بيوته ومقاصيره عشرة فراسخ في أمثالها : فالتفت بشار إلى قائده وقال : بئست والله هذه الدار في شهر كانون الثانى » ... وإذن فلم يكن هناك صوفى يعظ بشاراً بهذا الكلام الملفق ، وقد كان على الدكتور ، وهو مؤلف في التصوف ، أن يتحرى الرواية من هذه الناحية فضلا عن الناحية الأدبية ... هذه واحدة ...

أما الثانية فقد قال الدكتور وهو يتحدث عن الشيخ على يوسف صاحب المؤيد : « وكانت للشيخ على وقفة جريئة في وجه الرئيس روزفلت جد روزفلت الذى كان رئيس جمهوريات الولايات المتحدة قبل سنين ، وخلاصة القصة أن روزفلت زار أسوان وأظهر عجبه من أن يتمجد المصريون بقصر أنس الوجود . فثار شوقى الشاعر فنظم الضادية وفيها يقول :

شاب من حولها الزمان وشابت
وشباب الفنون ما زال غضا

وثار الشيخ على يوسف فشواه بمقالة في جريدة المؤيد ... »

وليست القصة هكذا أيضا ، ولم يكن الأمر أمر أنس الوجود ، وإنما القصة أن روزفلت زار السودان وخطب في أحد المعاهد المسيحية هناك فاتهم المصريين بالتعصب الدينى ، وأشاد بأيادى الانجليز على تقدم مصر ، وعجب للمصريين الذين يكفرون بتلك الأيادى والنعم ، ثم دعا المصريين إلى ترك التشدق بالقديم البالى والنظر إلى إصلاح حالهم الراهنة ، فكان أن غضب المصريون

لأنفسهم ، وثاروا عليه ثورة عنيفة فى دفع تلك الافتراءات التى كان روزفلت يردد فيها كلام المعتمد البريطانى ، وكان الشيخ على يوسف ممن حركوا القلم فى هذه الثورة ، وكان شوقى يومذاك موظفاً ولكنه خرج عن دائرة « الوظف » كما يقول ونظم قصيدته الضادية فى تمجيد حضارة الشعب الذى كفر به روزفلت وقدم لتلك القصيدة بمقدمة قال فيها : « قمت أيها الضيف المعظم فى السودان خطيباً ، فأنصفت العصر ، وانتقصت مصر ، وأقبل أهلها بعضهم على بعض يتساءلون : كيف خالف الرئيس سنة الأحرار من قادة الأمم وساسة الممالك أمثاله ، فطارد الشعور وهو يهب ، والوجدان وهو يثب ، والحياة وهى تدب؟ فى هذا الشعب ، ومن حرمة العواطف السامية ، ألا تطارد كأنها وحوش ضارية » .
إلى آخر تلك المقدمة التى تعتبر آية من آيات شوقى الخالدة .

وثار حافظ إبراهيم أيضاً ، وتناول روزفلت بقصيدة من قصائده الوطنية النارية ، ولكن هذه القصيدة لا توجد فى ديوانه الذى طبعته الوزارة ، وقد سبق أن نشرتها فى « الرسالة » مع بعض القصائد والمقطوعات المنسية لحافظ إبراهيم ...

هذا أمر يهمنا :

تنشر جريدة « المصرى » سلسلة من التحقيقات الصحفية عن الحالة فى بلاد المغرب الأقصى قام بها الأستاذ إبراهيم موسى الصحفى المعروف ، وقد عرض الأستاذ فى كتاباته إلى الحديث عن الحياة الثقافية وما يفرض عليها من الحجر الاستعمارى فى تلك البلاد فقال : « ووجدت مع أحد الزعماء كتباً مصرية قديمة من النوع المستعمل ، وكانت عليها كتابة تدل على أنها لرجل آخر فى طنجة من ثلاث سنوات ، وكان الزعيم المغربى شديد الفرح بها ، وقد دهشت حين علمت أن سبب فرحه هو أنه هربها معه من طنجة لأن الفرنسيين لا يسمحون بدخول الكتب العربية إلى المغرب إلا إذا كانت توافق مزاجهم ، وقليلا ما يجدون ما يلائم هذا المزاج الرقيق ... »

ثم قال الكاتب : « وقال لى هذا الزعيم إنك لا تتصور مقدار العذاب الذى يعيش فيه رجال الصحافة والعلم فى هذه البلاد ، إذ لا ينشر كتاب ولا صحيفة بدون رقابة ، وكثيراً ما تخرج الصحف ونصف صفحاتها بيضاء وقد كتب عليها — حذفته الرقابة — بل لا يمكن أن يقبل كتاب فى مطبعة قبل تسليم النسخة الأصلية إلى الرقابة ، وحدث مرة أن الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله المحرر بجريدة العلم وضع كتابا فى الجغرافيا فبقيت النسخة الخطية فى الرقابة سنتين — نعم سنتين — بقصد التعطيل ، ثم أفرج عن الكتاب بعد تعديلات ومساع كثيرة ، ومن أمثلة هذه التعديلات أنه كان فى الكتاب فصل اسمه « المغرب فى عهد الاستقلال » ، ويقصد الكاتب بذلك العهد السابق للعهد الفرنسى ، فأصرت الرقابة على تغيير العنوان إلى — المغرب قبل الحماية — ولما رضى المؤلف بذلك سمحوا بطبع الكتاب ... »

قلت : وهذه حال تهمنا ، فمن الواجب على رجال الأدب والعلم وحملة الأقلام فى مصر وفى جميع العالم العربى أن يفزعوا لها ، وأن يقفوا منها موقفاً حازماً لأنها مصادرة للحياة الفكرية . ومصادرة للكتب العربية ، وجميع الآثار التى تخرجها حتى لا تجد طريقها إلى تلك البلاد الشقيقة ...

نعم ، إن من الواجب على الجامعة العربية أن تفزع لهذه المسألة ضمن ما تعنى به من الحالة القائمة فى المغرب الأقصى ، وضمن ما تعنى به من الشئون الثقافية العامة فى البلاد العربية ، ولكن علينا نحن أن نفزع لهذه المسألة بالذات ، لأنها مسألتنا ، ومسألة الثقافة العربية ، والأمر فيها يسير علينا إذا حزمنا لها الرأى والأمر ، وذلك بأن نعمد إلى مقاطعة الكتب الفرنسية فى جميع الأقطار العربية ما دامت فرنسا تقصد إلى منع الكتاب العربى من الدخول إلى أى قطر من الأقطار التى تقع تحت نفوذها ، فإذا عمدنا إلى هذا صادقين فستكون فرنسا هى الخاسرة . وستضطر اضطراراً إلى النزوع عن تلك الخطة الشنعاء .

فهل أنتم يا أبناء الثقافة العربية ويا حملة الأقلام فاعلون ، غضباً لكرامتكم ورعاية لمصلحتكم ؟ ؟

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

من الأدب السياسي :

دعت رابطة الطلبة السودانيين في مصر مكرم عبيد باشا لاختتام موسمها الثقافي ، بمحاضرة عن « الوحدة الطبيعية الوطنية بين مصر والسودان » فلبى الدعوة ، وكان يوم الخميس موعد إلقاء هذه المحاضرة بدار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة ، وقد قدمه رئيس الرابطة بكلمة وصفه فيها بقوله « أديب ملك من البيان عنانه ، وخطيب فاق بفنه أقرانه ، وثائر حر أعجب بل أدهش خصومه وأعوانه »

وهذا الوصف من التقديم هو الذي يلائم المقام في هذا الباب الأدبي ، فالذي يعنينا هنا هو مكرم عبيد الأديب الذي يسترعي انتباه الأدباء ومحبي جمال الكلام بما يكتب ويخطب . ولما كانت هذه المحاضرة من إنتاجه الأدبي السياسي ، فقد رأينا أن نلم هنا ببعض أجزائها ونقطف شيئاً من ثمراتها

بين مكرم باشا العوامل الأساسية التي تقوم عليها وحدة وادي النيل، فعد منها «النيل نهراً» و«النيل شعوراً» ثم قال في بيان العامل الثاني : « ووحدة النيل شعوراً هي عنصر الوحدة المنوية بين أبناء النيل ، ولست في هذا أتعمل أو أتخيل ، بل أحلل التحليل العلمي الذي لا جدال فيه ولا دجل . فما من شك أن الطبع وليد الطبيعة ، وإذا جمعت بيننا وحدة الطبيعة ، فقد جمعت بيننا حتما وحدة الطبع . نعم إن هناك وحدة اللغة ووحدة الدين ، ولكن هذه قد توجد بين البلاد المستقلة بعضها عن بعض ، أما وحدة الطبع ، مستمدة من وحدة الطبيعة ، فهي الوحدة الأصلية التي تجعل من أبناء البلاد شعباً واحداً ، فإذا ما أضيفت إليها العناصر الإضافية كالدين واللغة والمصالح الاقتصادية كانت الوحدة مكتملة الأسباب أصولا وفروعا

« ولقد أجمع علماء التاريخ والآثار وفي مقدمتهم السيوماسبرو على أن المصري والسوداني متفرعان في مجموعها من جنس واحد وأصل واحد ، رغم أن الشمس لم توزع سخاءها عليهما بقدر واحد ... ! »

ودلل على التشابه في اللهجة الإقليمية فقال : « كنت منذ أيام قليلة أتحدث إلى بعض إخواننا السودانيين ، فراعني من هذا الحديث ، لا وحدة التفكير فحسب ، بل وحدة التعبير ، حتى إن لهجتهم في الحديث لا تختلف عن لهجة أبناء الصعيد ، مما أخجلني - وأنا رجل صعيدي « تبحرت » - فجعلني أعود معهم إلى القاف الصعيدية الجيمية ، بدلا من القاف الملطفة الألفية التي تعودناها في لغة عاصمتنا الرشيقة ...

« ولما كان أهالي الوجه البحري والصعيد شعبا واحداً وإن اختلفت بينهما اللهجة الإقليمية ، فلست أرى فارقا - حتى من هذه الناحية الفرعية التفصيلية - بين الصعيد الأدنى في مصر ، والصعيد الأعلى في السودان »

وقال معقبا على ماحدث أخيراً في الخرطوم من محاكمة الأستاذ أحمد كامل قطب رئيس حزب الفلاح الاشتراكي المصري متهما بالحض على كراهية الحكومة البريطانية والحكومة السودانية في محاضرة ألقاها بنادي الخريجين هناك ، وقد هتف أمام القاضي بعد أن حكم عليه بالسجن أربعة عشر يوما ، قائلا : « الله أكبر، ويحيا ملك مصر والسودان ، ويسقط الاستعمار »

قال مكرم باشا معقبا على ذلك : « نعم أيها السادة، الله أكبر، والله أكبر ، والله أكبر ، فلست أعرف نداء جمع بين حكمة الدين وحكمة الدنيا كهذا النداء ، الذي يتلاقى فيه الجزاء مع العزاء .. فلو أن في الدنيا كبيراً فالله أكبر ، ولو أن بين الظالمين ظالماً يرى نفسه كبيراً فالله منه أكبر ، ولو أن بين الشعوب شعبا كبيراً يرهق شعباً صغيراً فالله من الكبير أكبر

« إذن فلا تهنوا ولا تحزنوا ، وإذا ما أصابكم عسف أو عنت فلا تفقدوا ميزانكم بل زنو ثم وازنوا ... نعم وازنوا بين عادل سرمدي وبين ظالم وقتي أبي واستكبر ، وفاته أنه مهما كبر فالله أكبر »

المؤتمر الثقافي العربي :

تضمن ميثاق الجامعة العربية النص على التعاون الثقافي بين

بلادها ، وتوحيد الاتجاه التعليمى فيها ، وألفت الإدارة الثقافية بها للعمل على تحقيق ذلك ، وأخيراً قررت دعوة الأمم العربية المشتركة فى الجامعة العربية وغيرها ، إلى مؤتمر ثقافى عربى ينعقد بلبنان فى سبتمبر القادم للنظر فى توحيد اتجاهات الثقافة العربية والعناية بموادها وأساليب تعليمها فى اللغة وفروعها ، والتربية الوطنية ، والتاريخ ، والجغرافيا ، فى مراحل رياض الأطفال والتعليم الأولى والابتدائى والمتوسط والثانوى

ووجهت الدعوة إلى وزارات المعارف فى كل من البلاد العربية ، لتتولى كل وزارة منها الاتصال بالهيئات الثقافية والتعليمية فى بلادها لتعيين من يمثلها فى المؤتمر ، على أن يكون المثلون الذين يؤلفون هيئة المؤتمر من الهيئات الرسمية ، أما الهيئات الأخرى فلها كما للأفراد المهتمين بالشئون التعليمية والثقافية ، أن يكتبوا بآرائهم ومقترحاتهم إلى الإدارة الثقافية لتنسيقها وعرضها على المؤتمر ولهم أن يحضروا اجتماعات المؤتمر متتبعين مستمعين

وقد ربطت بالدعوة بيانات بالموضوعات التى يرجى البحث فيها للمؤتمر ، فى المواد الدراسية المتقدمة ، ومن هذه الموضوعات فى « اللغة العربية وفروعها » ما يأتى :

(١) كيف يحقق بث الفكرة العربية بطريق كتب المطالعة ؟

(٢) كيف تعالج صعوبات وجود اللغة العامية بجانب اللغة الفصحى ؟

(٣) تيسير القراءة والكتابة للمبتدئين ووسائل تحقيقها

(٤) هل يدرس تاريخ الأدب مستقلا أو فى ثنايا دراسة النصوص الأدبية بالتعريف بأصحابها وعصرها الخ

(٥) فى اختيار النصوص الأدبية ، هل ترتب على حسب العصور أو الموضوعات أو يتدرج فيها من حيث السهولة والصعوبة دون تقيد بعصر ؟

(٦) كيف تستغل دراسة الأدب إلى حد ما فى بث الروح العربية ؟

(٧) القراءة خارج المدرسة

(٨) استغلال الوسائل الحديثة فى ترقية اللغة العربية كالإذاعة والتمثيل والمناظرات والمجلات والصحف ودور الكتب

ومن موضوعات التربية الوطنية :

أساليب إعداد المواطن العربى ليكون مواطناً صالحاً فى مجموعة البلاد العربية كما هو مواطن صالح فى قطره الذى ينتمى إليه

ومن موضوعات التاريخ :

(١) هل يدرس فى التعليم الابتدائى تاريخ قطر الطالب فقط ، أم تاريخ الأمة العربية كلها ، أم يجعل تاريخ القطر محوراً لدراسة التاريخ العربى ، أم تدرس سير أبطال العرب وعظمائهم فقط ، أو يدرس تاريخ المدن ونحو ذلك

(٢) وسائل الاستفادة من التاريخ العربى لتقوية الروح العربية الحق

ومن موضوعات الجغرافيا :

الأسس والمبادىء العامة التى يحدد على أساسها القدر الذى لابد من أن يحصله المواطن العربى من جغرافية البلاد العربية ، وموضع هذا بالنسبة إلى جغرافية العالم كله ، ومبلغ التعارض بين هذا وبين الفكرة الدولية التى يتجه إليها العالم الآن

ويطلب فى كل مادة بيان المنهج المثالى الذى يقترحه الباحث فيها ، ومبلغ اتفاقه مع المناهج المقررة الآن فعلا فى بلاده

وقد وصلت إلى الإدارة الثقافية كتب كثيرة تتضمن آراء ومقترحات مختلفة فى تلك الموضوعات، وهى تعمل فى تنسيقها بطريقة تسهل عرضها على المؤتمر . وكان موعد تلق هذه الردود قد انتهى ، ولكن رئى مده إلى منتصف يونية الحالى نظراً لحالة بعض البلاد النائية

معرض الكتب والأدوات :

وفى خلال المدة التى يجتمع فيها المؤتمر الثقافى ، وفى البلد الذى يكون الاجتماع به (وسيكون فى لبنان ولم يعين بعد) يقام معرض للكتب المدرسية المؤلفة فى مواد الدراسة المشتركة والتى هى موضوع نظر المؤتمر ، وللوسائل العملية لتعليم فروع اللغة العربية المختلفة ، ووسائل الإيضاح لمادتى التاريخ والجغرافيا كالمصورات والمجسمات والأجهزة ، التى من صنع الأفراد ودور النشر والشركات

وتقدم نسختان من الكتب واثنان من الأدوات للادارة الثقافية قبل منتصف بولية القادم

مؤتمر الآثار العربي :

وقد استقر الرأى على عقد مؤتمر للآثار فى البلاد العربية بسوريا (أحد بلدانها ولم يعين بعد) فى ٢٣ أغسطس القادم

وقد وجهت الدعوة إلى الحكومات العربية لكى تعين ممثليها الرسميين الذين سيمثلونها فى هذا المؤتمر . والمفهوم بوجه عام أن هذا المؤتمر سيتناول بالبحث أسباب التعاون فيما يتعلق بالشئون الأثرية وتنظيم عمليات التنقيب عن الآثار وترتيب المتاحف

رحلة إذاعية :

كان مكتب الإذاعة البريطانية بالشرق الأوسط قد رأى أن يقوم بتسجيلات ثقافية وموسيقية فى بعض البلاد العربية ، إلى جانب ما يقوم به من هذه التسجيلات فى مركزه بالقاهرة ، لتذاع فى برنامج محطة لندن للاذاعة العربية

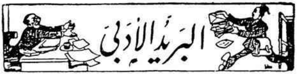
وفى الأسبوعين الماضيين قام بهذه الرحلة الثقافية الفنية الأستاذ يحيى شرارة مدير القسم العربى بالإذاعة البريطانية والأستاذ إيفان جست ممثل محطة لندن فى الشرق الأوسط، وهو ابن الأستاذ جست المستشرق المعروف وصاحب كتاب « ابن الرومى - حياته وشعره » ومما يذكر استطراداً أن هذا الكتاب موضوع باللغة الإنجليزية ولم يترجم إلى العربية ، وقد أثبتت به نصوص الشعر باللغة العربية .

وكان مع الأستاذ يحيى والأستاذ إيفان موظفون آخرون وآلات للتسجيل، وقد قصدوا أولا إلى عمان عاصمة شرق الأردن، حيث سجلوا أحاديث لبعض الأدباء هناك ، منها « الأدب فى شرق الأردن » و« نهضة الشعر الحديث فى شرق الأردن » ومما وقفنا عليه أن دعائم هذه النهضة الشعرية هم الشباب الذين يتابعون قراءة ما يصدر فى مصر من الصحف والمؤلفات بشغف ، ويتأثرون بها ، وهم يغشون مجلس جلالة الملك عبد الله الذى يطارحهم الأشعار ويناقلهم الأحاديث الأدبية ، ومما سجلته إذاعة لندن فى شرق الأردن ، كلمة لجلالته بمناسبة عيد استقلال شرق الأردن

ثم قصدوا بعد ذلك إلى بغداد ، فقاموا بتسجيل أحاديث ، منها « الصحافة فى العراق » و « المرأة والمجتمع العراقى » و « البترول فى العراق » و « مجموعة من الأشعار يختارها ويلقيها ناظموها » وبين هؤلاء الشعراء الذين ألقوا ما اختاروه من أشعارهم ، شاعرات عراقيات تألقن هناك فى ميدان الشعر ، منهن الآنسة عاتكة الخزرجى والآنسة نازك الملائكة

وسجلوا مجموعة كبيرة من الأغانى والموسيقى ، وقد روعى فى هذه المجموعة أن تمثل الفن العراقى القديم الذى يقوم على الأغانيات القديمة كالتى يكثر فيها ترديد « جانم بالِلى » كما تمثل الفن العراقى الحديث الذى تغنى فيه الأناشيد والأشعار الحديثة ، أما الموسيقى فلا تزال فى العراق عربية شرقية لم تتغلغل فيها نزعة التفرنج الموسيقى على الرغم من شيوعها فى موسيقى الأفلام المصرية الطاغية على السوق هناك ، والفلم العراقى لم يولد بعد ، وهناك شركة أجنبية تحاول إنتاج أفلام عراقية ، ولا يقدر لها النجاح ، لأن اللهجة العراقية غير مفهومة تماما فى خارج العراق ، والاستهلاك المحلى لا يكفى ، ولست أدرى لم يقال بعدم نجاح هذه الأفلام ان أنتجت باللغة العربية !

« العباسى »



تحقيقات تاريخية :

بين يدى ديوان « صرّدر » طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة (١٩٣٤) فى الصفحة الرابعة وفى السطر الثانى هذا البيت من الشعر :

جيوش من الأقدار تفنى عُداته
بلا ضرب إيتاخ ولا طعن أشناس

وفى الحاشية رقم (٣) « إيتاخ وأشناس كذا بالأصل ولعل الأولى « أنباج » جمع « نبج » وهو بين الكاهل إلى الظهر والثانية لم نوفق إلى مراد الشاعر منها .

وصحة البيت :

جيوش من الأقدار تفنى عُداته
بلا ضرب إيتاخ ولا طعن أشناس

وإيتاخ وأشناس كلاهما من مشاهير قواد المعتصم الذين أبلوا أحسن البلاء فى حروب الروم وفتح عمورية (٢٢٢هجرية — ٢٢٤) وضربت بقيادتهم وشجاعتهم الأمثال .

قال الطبرى : كان على مقدمته أشناس ويتلوه محمد بن ابراهيم، وعلى ميمنته إيتاخ وعلى ميسرته جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط صفحة ٢٦٤ الجزء السابع .

قال ابن الأثير : وفى هذه السنة ٢٢٣ هجرية . خرج توفيل ابن ميخائيل ملك الروم إلى بلاد الإسلام وأوقع بأهل زبطرة وغيرها ، وكان سبب ذلك أن بابك لما ضيق الأفشين عليه وأشرف على الهلاك كتب إلى ملك الروم يعلمه أن المعتصم قد وجه عساكره ومقاتلته إليه حتى وجه خياطه يعنى جعفر بن دينار الخياط وطباخه يعنى إيتاخ ولم يبق على بابه أحد؛ فإن أردت الخروج فليس فى وجهك أحد يمنعك . »ص ١٧٦ جزء ٦ طبعة أميرية «

أحمد رمزى

على هامش كتاب « دفاع عن البلاغة » :

سيدى الأستاذ العقاد :

لو لم تكن حبسة المرض قد حجبت الأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات ، لجعلته الخصم والحكم فى كلمتى هذه ، ولسرنى منه أن يرمينى بالدواة والقلم والرسالة ؛ ولكن لأمر ما لجأت إليك أيها الأستاذ الكبير ، وأنت عندى شيخ النقد النزيه ، وعصارة الأدب فى هذا العصر .

قرأت كتاب « دفاع عن البلاغة » للاستاذ أحمد حسن الزيات فأكبرته ووجدت له شأناً أعظم من شأن غيره من مؤلفات البلاغة ، وعز على أن يأتيه النقص من أحد جوانبه ، ضنا بأدب الزيات أن يعتوره غبن فى الأجيال المقبلة .

قال الأستاذ — نفعنا الله بعلمه — فى كتاب دفاع عن البلاغة صفحة ٧٢ المطبوع سنة ١٩٤٥ ما يأتى :

« إن بلاغة التوراة والانجيل فى العبرية لا مساغ للشك فيها ؛ ولكنك تقرأها فى العربية فلا تجد أثراً لهذه البلاغة ؛ ذلك لأن الذين ترجموها إلى لغة القرآن لم يكن لهم بآدابها علم ، فوضعوا لفظاً مكان لفظ ولم يضعوا أسلوباً مكان أسلوب ؛ فجاءت الترجمة موضوعية عجماء لا تشبه لغة من لغات الناس فى لون ولا طعم ولا شكل . » انتهى

يشعر الأستاذ الجليل بقوله هذا أن الانجيل قد كتب باللغة العبرية . والأناجيل مكتوبات متى ومرقس ولوقا ويوحنا ؛ وربما تناول أيضاً باقى أسفار العهد الجديد معرب Evangelion باليونانية ومعناه بشارة أو خبر مفرح .

والنصرانية تعتبر الأناجيل الأربعة سنداً تاريخياً تغترف منه براهين تاريخية لتأسيسها ونظامها الداخلى . وما كانت الأناجيل كتاب بلاغة فى العبرية عند أصل وضعها .

فان متى صاحب السفر الأول من الإنجيل قد كتب سفره ما بين سنة ٤٤ — ٥٠ م بلغة التخاطب الشائعة فى عهد المسيح بين يهود فلسطين ، وتلك اللغة هى السورية الكلدانية أو الآرامية .

والانجيل الثانى ينسب إلى مرقس ، وعلماء آباء النصرانية مجمعون على أن مرقس كتب فى رومية للرومانيين تعاليم بطرس الرسول وكتب باللغة اليونانية بعد سنة ٦٢ م .

والسفر الثالث من الإنجيل يعزى إلى لوقا ، وقد كتبه فى

رومية زهاء سنة ٦٢ مّ باللغة اليونانية أيضاً .

أما السفر الرابع من الانجيل فقد كتبه يوحنا فى أواخر القرن الأول من الميلاد يوم كان فى جزيرة باطمس وروى فى أفسيس ؛ وقد اتخذ اليونانية أداة لـكتابته .

يظهر مما سبق أن الأناجيل قد كتبت فى غير العبرية ، ولم تترجم من العبرية إلى العربية . أما بلاغتها فى العبرية بعد أن ترجت إليها فسألة ليس من السهل الجزم بها ، ولا يتأتى لمن يجهل العبرية أن يتهجم على مثل هذا الشأن .

عند مايتناول القارىء قطعة للأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات يحسب أن أمة كبيرة تقمصت فرداً واحداً ؛ فكأن ما ينفحنا به قلمه يمثل لنا أن جماعة عديدة من أمراء الكتاب وقادتهم ، يعملون الفكر ، ويسددون المنهج لاخراج الكلمة ، فيقدرون لكل عبارة قدراً ، ولا ينشرون حرفاً قبل أن يعرضوه على مقاييس محكمة من فصاحة فى اللفظ ، وبلاغة فى المعنى ، وشمل للحقائق ؛ أما القطعة التى سبقت الاشارة إليها من كتاب دفاع عن البلاغة صفحة ٧٢ فقد خرجت عن طريقة الزيات إلى طريقة من لا أدرى .

فهل تجيز أيها الأستاذ العقاد — شملنا الله بعدلك — قوله إن بلاغة التوراة والانجيل فى العبرية لا مساغ للشك فيها . ولـكنك تقرأهما فى العربية فلا تجد أثرا لهذه البلاغة ؛ ذلك لأن الذين ترجموهما إلى لغة القرآن لم يكن لهم بآدابها علم ... ؟

أفلم يكن للشيخ إبراهيم اليازجى علم بآداب اللغة العربية ؟ أو ليست أسفار العهد القديم والعهد الجديد ، المنسوبة إلى الآباء اليسوعيين فى بيروت ، من تعريب الشيخ إبراهيم اليازجى ؟ فقد نشرت خبر ذلك مجلة الأجيال الجزء الثانى من السنة الثانية ؛ ونشرته جريدة الأيام التى كانت تطبع فى نيويورك فى العدد الصادر بتاريخ ١٦ شباط سنة ١٨٩٩ ؛ ونشرته جريدة البشير فى العدد الصادر بتاريخ ١٦ حزيران سنة ١٨٨١ ؛ وأعادت نشره مجلة الضياء فى أربع صفحات بتاريخ ١٥ إبريل سنة ١٨٩٩ ؛ وذكرته الـكتب المدرسية المعنية بتاريخ الآداب العربية .

ومما يشهد به التاريخ أيضاً أن فارس الشدياق قد ترجم العهدين العتيق والجديد بعناية الجمعية الانجليزية ونفقتها ؛ وطبع العهد الجديد عن هذه الترجمة سنة ١٨٥١ — ثم طبع العهدان أيضاً سنة ١٨٥٧ وذلك فى مدينة لندن .

أما النسخة التى قام بترجمتها مرسلو الأميركان فى بيروت فقد وقف عليها المعلم بطرس البستانى وكرنيليوس فان ديك .

« ومن الذين كان الاعتماد عليهم فى ضبط الترجمة على قواعد اللغة العربية وفصاحتها الشيخ ناصيف اليازجى اللبنانى والشيخ يوسف الأسير الأزهرى . » راجع كتاب مرشد الطالبين صفحة ٢٧ — المطبعة الأميركية — بيروت .

فهؤلاء جميعاً كانوا وما زالوا يعدون من أولى العرفان الراسخين فى علوم العربية وآدابها .

فنرجو منك أيها الأستاذ العقاد أن تكشف لنا عن هذه الحقيقة وتعلل قول الأستاذ الزيات أمير البلاغة وصاحب الدفاع عنها بكلمة انصاف ترد الفضل لذوى الفضل والسلام

(نابلس) **أبو بكر التمرى**

أستأذن صديقى الأستاذ العقاد فى أن أقول للكاتب الفاضل إنى دعيت فيما كتبت مذهب الإسلام وما كان لى غير ذلك .

فان القرآن — وهو عند المسلمين مصدر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه — يخبر أن الله أنزل التوراة والانجيل على موسى وعيسى بلسان قومهما وكان العبرية . وما كان من عند الله كان جاريا على سنن الكمال اللفظى والمعنوى ما فى ذلك شك . والترجمة العربية الأمريكية التى قرأناها للعهدين القديم والحديث هى على ما وصفت من ركاكة الأسلوب وغثاثة العبارة ، ولا يجوز أن يأتيها ذلك النقص إلا من جهة النقل

أما ترجمة اليازجي والشدياق فليستا فى أيدى الناس ، وإذا صح أنهما صحيحتان بليغتان ، فإن ذلك يؤيد قولى ولا ينقضه ، وللأستاذ التمرى بعد ذلك جزيل الشكر على حسن ظنه بالكتاب وصاحبه « الزيات »

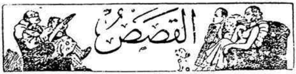
مولانا أبو الكلام وترجمة القرآن :

جاء فى العدد ٧٢٢ من الرسالة تحت توقيع الجاحظ مانصه : (فسر الزعيم أبو الكلام قدراً من القرآن الكريم تفسيراً علمياً عصرياً ، وترجم القرآن كله إلى اللغة الإنجليزية إلى آخره)

والحقيقة أن مولانا أبو الكلام آزاد قد فسر القرآن الكريم باللغة الأردية URDO تفسيراً علمياً عصرياً ولكنه لم يترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية كما ذكر الجاحظ لأنه لا يعرف هذه اللغة ولا يفهمها . أما ترجمة القرآن من العربية إلى الأوردية فهى أحسن التراجم وأصدقها فى هذه اللغة .

والسلام عليكم أولا وآخراً .

(الكويت) **عبد الحميد يوسف الشاعى**



الوالدان

للكاتب الألماني رودلف كرودزر

بعد أن أحيل القاضي هجونوبر إلى المعاش اشترى قطعة أرض في الريف واعتزل حياة المدينة التي كانت مسرحاً لآلامه وهمومه حيث توفيت زوجته قبل الحرب، كما أن ولده الوحيد انتظم في سلك الجندية وذهب إلى الميدان دون رجعة ولم يعد يؤنسه في وحدته الآن إلا خادمه العجوز.

مضت عشرون عاماً وبدأ الماضي يمحي بصوره المحزنة من مخيلة الرجل ونفض عنه غبار أعوام مضت قاسى فيها الأهوال ولكن الماضي جاء يقرع بابه بقوة يلح في الدخول.

كان ذلك في يوم من أيام أغسطس وكان القاضي واقفاً في حديقة داره بين الأوراد الجميلة التي يتعهدها بنفسه حين جاءته الخادم ومعها بطاقة باسم رجل انجليزي يدعى جيمس مارلو من جلوسستر. أما حرفته فلم يكن لها ذكر في البطاقة.

لم يعرف الرجل من يكون ضيفه وذهب إليه في حجرة الاستقبال فتقدم الانكليزي في أدب جم واحترام زائد وهو يقول في همس بأنه سعيد لتشرفه بمعرفة والد الكابتن فرانز هجنوبر؛ فدهش القاضي. من أين عرف ذلك الرجل اسم ولده؟ ولما أخبره هجنوبر بأن ابنه قد توفي في الحرب كست وجه الرجل الغريب السبعيني الطويل القامة موجة من الحزن والأسف لأنه شعر بالألم الذي ارتسم على وجه القاضي لتجديده تلك الذكرى الحزينة اعتذر من ذلك ثم أوضح شخصيته. فهو والد ضابط انجليزي يدعى هاري مارلو، وإن كان فرانز قد مات في الحرب بطلاً شهيداً، إلا أن هاري مات بعد أن حوكم عسكرياً لما أبداه من جبن أمام العدو وبعدما جردوه من رتبته الشريفة.

قام الرجل العجوز المهدم وقطع الغرفة جيئة وذهاباً وهو يشرح كيف استنكر ذلك من ولده والا لهذا شرف عائلة مارلو في التراب. حاول أن يعرف السبب الذي حوكم ابنه من أجله، لأنه عاد منفرداً إلى فرقته بينما كان بقية جنوده يقاتلون في الميدان؟ لقد ظل أمر عودته سراً مكتوماً بينه وبين نفسه ولم يكتشفه أحد.

هذه هي المشكلة. إنه يعرف ولده جيداً فهو شجاع إلى أقصى حدود الشجاعة، ولا يظنه على ذلك الجبن والخور. جمل يبحث عشرين عاماً ليقتنع بأن ولده لم يفعل ذلك إلا لسبب جوهري عظيم، ولكنه كان يقابل دائماً من الناس بالشفقة والرثاء لتقدم سنه وبأجابات كلها سلبية؛ فلم يرح إلى جواب منها يشفي به غليل نفسه. لقد ضحى ماله وكهولته ليعرف السر ولكن دون جدوى إلى أن طرق الباب عليه أخيراً فرانز هجنوبر. فقد سمع اسمه من جندي انجليزي قال بأن أسيراً ألمانياً مات قبل نهاية الحرب كان دائم التحدث عن الكابتن هجنوبر الذي كان يقاتل في سالي في اليوم الثامن عشر من أكتوبر عام ١٩١٦ في معركة السوم.

حينئذ تذكر القاضي بأن خطاباً غريباً كان قد وصله من ابنه في ذلك الحين فقام وأتى به كان مؤرخاً في التاسع عشر من أكتوبر عام ١٩١٦ في بلدة سالي وقرأ مارلو الخطاب وكان فيه:

والدي العزيز

أكتب إليك الآن لا لأذكر لك شيئاً عن شجاعتي في الميدان أو كيف استولينا على حصن من حصون العدو بل لأطلعك اليوم على حادث غريب. فلقد هاجمنا الأعداء وتمكنا من التقدم في صفوفهم. وكان ضابطهم شاباً شجاعاً من فرقة جلوسستر جمل يقاتل حتى نفد منه الرصاص، ولما وجدته أعزل هجمت عليه وكدت أقتله إلا أن أحد جنوده دفعني على الأرض؛ وحينئذ تيقنت بأني سأموت وأغمضت عيني وأنا أسلم أمري إلى الله. إلا أني حين فتحتهما وجدت ذلك الضابط وقد ألقى بسلاحه ولم يرغب في قتلي وأنا فاقد الحيلة. ولما حاول أحد جنودي قتله من خلفه أنقذته وتمكنت أن أدعه يفر من الأسر. وبذلك خنت زملائي وجنودي ووطني كما فعل هو من قبل ... »

وضع الرجل الإنجليزى الخطاب بيد مرتعشة وحل الصمت بينهما طويلا ثم قفزت تلك الصورة أمام القاضى . ولده يكاد يشرف على الموت لولا شفقة ذلك الضابط الإنجليزى ورحمته له . كما تراءت له خيانة ولده ومساعدته لعدوه على الفرار . واختلط كل شىء فى رأسه وسط ذلك الظلام الذى بدأ يغمر الحجرة التى لا ينيرها سوى تلك الذؤابات الباقية من الشموع .

كان للجو الغريب الذى عاش فيه الرجلان فى تلك اللحظة كل الرهبة . فها هو الخطاب ملقى على المكتب وقد اصفرت أوراقه ، وها هى الذكريات تتعاقب على مخيلتهما ؛ وهاهما ولداهما قد عادا إلى الحياة وارتسمت صورهما واضحة أمام عينيهما . صورة البطولة والشجاعة والاقدام والشفقة والرحمة والخيانة العظمى .

شعر الرجلان بأنهما يجهلان كل شىء عن الحرب مع أنهما عاشا فى لهبها أربعة أعوام . ولكن هل هذا الذى حدث يعد عملا شريفا أو تشتم منه رائحة الجبن والخيانة حقا ؟ هل للحياة تلك المنزلة الغالية فى الميدان حتى أن ضابطا يلقى بسلاحه حين يجد عدوه فاقد الحيلة أمامه .. إنهما لا يعرفان شيئا عن قانون الإنسانية والشباب والحياة . أما القاضى فكل مايذكره الآن هى تلك الكلمات الأخيرة من خطاب ولده .

« لقد ارتكبنا خطأ واحدا بأن ألقينا سلاحينا » .

انتشر الظلام فى الحجرة ولم يقو أحدهما على إنارتها لأن تلك الذكريات البعيدة وذلك الصوت الذى يتكلم من وراء السنين يجب أن يهيأ له الجو الصامت المظلم حتى تسبح روحاهما فى ذلك العالم حيث فلذتا كبديهما .

امتدت خيوط القمر المكتمل قرصه وأنارت أجزاء من الحجرة كما نبح الكلب وتمايلت أغصان الشجر إلا أنهما لم يشعرا بكل ذلك ، بل كان عالمهما الذى يعيشان فيه بعيداً حيث الظلام والنار والدخان والدماء .

وأخيرا قال مارلو . إذن لم تكن تلك هى الحياة التى وهبها الكابتن هجنوبر إلى ولدى بل كانت الطريق إلى الموت بمحض إرادته ، كما أن حياة هجنوبر لم تكن إلا قرضا سرعان ما استعادته قوة غاشمة .

فقال القاضى : نعم هو ذلك الأمر .

ولم يشعر إلا وهو يضع يده فى يد الرجل الذى أمامه وكأنهما صديقان قديمان عزيزان . وعاد يقول لعل هناك شيئا من العدل يغشى ذلك الحادث . العدل الذى لا نعرفه ونحن فى دنيانا ، والذى يشعرون به هم فى ميدان القتال .

فقال مارلو : وتلك المحاكمة . أكانت عادلة ؟

فقال القاضى : أما عن المحاكمة فإن ولدك هو الذى حكم على نفسه ولا يدرى أحد إن كانت عادلة أو ظالمة .

وكأن الرجل قد اقتنع بذلك الرأى . فنهض واقفا وهو يطيل النظر فى وجه القاضى الهادىء .

كان السكون يعم السكون فى الخارج ، والنسيم يهب رقيقا ، ووراء الليل الأسود يغطى الطبيعة فيزيد أسرارها رهبة ؛ ولمح القاضى بعض التغير يطرأ على وجه ضيفه . وكأنه شعور الراحة بعد طول عناء .

وأخيرا قال القاضى :-أنا لم أفهم لم لم يصرح مارلو بالأمر حين حوكم فهو محق بعض الحق فيما فعل .

لم يشعر الرجل الإنجليزى إلا وهو يتناول الخطاب ثانية ، وأدرك القاضى للتو الكلمات التى يقرؤها الرجل فاذا به يهمس بها تلك الكلمات العذبة الصادرة من قلب يشعر بما للحرب من أهوال وفظائع ، وكأن نيرانها قد اشتعلت فى أفق يومهما ذاك . كلمات ولده التى تقول « لم أر فى حياتى من هو أكبر إقداما وأكثر شجاعة من ذلك العدو الشاب » .

كفى مارلو تلك الكلمات وليحاكموه ما شاءوا . كفاه فخرا شهادة مثل هذه من عدوله لدود . عاد السكون بينهما إلا أن القاضى قال :

إنه لمن دواعى سرورى حقا أن أضع بين يديك ما يزيل عنك وحشة وشكا مريبا عشت تحت رحمتهما عشرين عاما كاملة ، ولا أظن أحداً يمكنه أن يتهم ولدك بالجبن والخوف بعد الآن . فلمعتْ عينا الرجل برغبة حادة شعر بها القاضى فإذا به يقول :

لتأخذ ذلك الخطاب ولتفعل به ما تشاء .

فما كان من الرجل الإنجليزى إلا أن نهض واقفا وأمسك بالخطاب ثم أدناه من لهب الشمعة فاشتعل وسرعان ما تساقط الرماد . حدث ذلك وهما باقيان على صمتهما ونور القمر يرافقهما .

ولم يشعرا إلا ويد كل منهما فى يد الآخر . فقاما فى صمت إلى الحجرة المجاورة وقد اشتبكت ذراعاهما . وأدارا النظر فيها فقابلتهما صورة الكابتن هجنوبر بقامته المديدة وابتسامته العذبة .

حسن فتحى خليل

مطبعة الرسالة